جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قســـــم الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

شعبة: الفلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: سلخان حليمة

الموضوع :

مشكلة الإنسان عند فردريك نيتشه

نوقشت وأنجزت يوم : 2018/06/21

أعضاء لجنة المناقشة

د. طاهير رياض	جامعة قاصدي مرباح	رئيسا
أ . بن قويدر عاشور	جامعة قاصدي مرباح	مشرفا ومقررا
أ. بن رابح عمر	جامعة قاصدي مرباح	مناقشا

الموسم الجامعي :2017 /2018

جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قســـــم الفلسفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

شعبة: الفلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة: سلخان حليمة

الموضوع :

مشكلة الإنسان عند فردريك نيتشه

نوقشت وأنجزت يوم : 2018/06/21

أعضاء لجنة المناقشة

د. طاهير رياض	جامعة قاصدي مرباح	رئيسا
أ . بن قويدر عاشور	جامعة قاصدي مرباح	مشرفا ومقررا
أ. بن رابح عمر	جامعة قاصدي مرباح	مناقشا

الموسم الجامعي :2017 /2018

شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل النبيين محمد الصادق الأمين عليه صلوات ربي وأفضل التسليم ، .... إقرارا بالفضل لذويه ونزولا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم : "من لا يشكر الناس لا يشكر الله "، فان الواجب يدفعنا إلى أن أخص بالشكر بعد الله تعالى نبع المعرفة الأستاذ المشرف على مذكرة الماستر الأستاذ بن قويدر عاشور الذي أمد لي بالتوجيهات العلمية القيمة وكان داعما لي في المراحل الصعبة فجزاه الله خير وبركة وبارك الله في عمله وعمره. والشكر الموصول إلى كل من علمني حرفا ..... أساتذتي الأفاضل وكل من ساعده في انجاز هذه المذكرة .

كما أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى كل الأساتذة والإداريين وكل عمال ثانوية عبيدلي أحمد بورقلة من خلال توفير المعلومات الكاملة التي احتاجها بحثنا هذا .

وأخيرا أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان لكل من ساهم و ساعد على انجاز وإتمام هذه

إهداء

تبارك الذي أهدانا نعمة العقل وأنار سبيلنا بنور العلم، ومهد لنا سبل النجاح، سبحانه جلا وعلا.

أهدي عملي هذا إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله

والديا العزيزين

إلى فرحتي في هذه الحياة إخوتي أحمد ومعمرو سفيان وفاطمة و خضرة

وإلى أخي الصغير منذر حفظهم الله ورعاهم

إلى من جعلهم الله إخوة في هذه الحياة أصدقائي وإلى من ساعدني في هذا العمل حبيبة وسمية

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينيرنا الأستاذ

وإلى من يقرأ عملي هذا

وشكرا

ملخص

لقد تعددت المشكلات حول الفلسفة النيتشوية، والتي تمثلت في الإنسان والعود الأبدي وموت الإله ... إلخ، ما دفع إلى قراءتها وتفسيرها، كذلك من أهم الإشكالات المتعلقة بفلسفة نيتشه هو أسلوبه الواضح أثناء القراءة، فليس هناك ما يدعو لفك الغموض أو الإلتباس والترابط بين الأفكار والمعاني، ثم أن فلسفة نيتشه مرت بثلاث مراحل، وهي المرحلة الميتافيزيقية النقدية، وحتى الوضعية، وهو ما شكل إختلاف في تلك المراحل، فكل يفسر حسب رأيه، أما فيما يخص حياته الشخصية فقد كان لأخته الأثر الكبير عليه وهذا ما اختلف فيه الباحثون، فمنهم من تقبله ومنهم من هو عكس ذلك، على غرار أن أخته قامت بتحريف عمله بعد وفاته، فكل هذا الاختلاف ساهم بشكل أو بآخر في تقديم قراءات لدارسي فلسفة نيتشه، وإلتماس أن هناك أفكار مركزية مرتبطة ببعظها البعض كالإنسان الأعلى، وفكرة العود الأبدي والظهيرة العظمى، كل هذا يعبر عن الأفكار التي حاول نيتشه من خلالها أن يتجاوز العدمية ويقم حل للأزمة الأوروبية.

Il y avait beaucoup de problèmes au sujet de la philosophie nietzschéenne, qui était l'homme et le luth et la mort éternelle de Dieu .... etc, ce qui incite à lire et à interpréter, ainsi que l'un des plus les problèmes liés à la philosophie de Nietzsche et son style est clair lors de la lecture, il n'y a aucune raison de décoder le mystère et la confusion et l'interdépendance Entre les idées et les significations.

La philosophie de Nietzsche passé par trois phases, à savoir la phase Métaphysique et quasi-espèces ainsi que la situation, ce qui est une différence dans ces étapes, chacune explique son avis, que ce soit par rapport à sa vie personnelle était à sa sœur, le grand impact sur lui, et cela crée une différence entre les chercheurs, certains d'entre eux ont accepté et certains d'entre eux voient en revanche, comme sa sœur avait déformé son travail après sa mort, et toute cette différence a contribué d'une façon ou d'une autre en fournissant des lectures des élèves de la philosophie de Nietzsche, et chercher qu'il ya des idées liées les unes aux autres en tant qu'êtres humains suprême et l'idée du luth et de la volonté éternelle de la superpuissance et la grande l'après-midi, toutes les idées exprimées que Nietzsche a essayé d'aller au-delà et offre la solution à la crise européenne.

مقدمة

تعد فلسفة نيتشه من أهم الفلسفات المعاصرة، وذات الأثر الكبير على تاريخ الفلسفة القرن العشرين، لتتوسط بذلك الفلسفة الحديثة و الفلسفة المعاصرة، كما أثرت الفلسفة اليونانية القديمة على الفلسفة النيتشوية، فكان الفكر الاغريقي القديم هو الدافع الأساسي في ذلك، وبالرغم من أهمية فلسفة نيتشه الا انها لا تخلو من المشاكل الخلافات، التي تستدعي الوقوف عند هذه الفلسفة ، وكحل لهذه المشكلة تعددت الدراسات التي ساهمت في الوقوف عند هذه المشكلات، خاصة فيما يتعلق بالإنسان وواقعه المعاصر بما في ذلك الانسان الاروبي الذي عاصره نيتشه، فلقد طرأت العديد من التشوهات والخلخلة عليه ، كما عرف هذا التغير بالاستمرارية والاستقرار الذي مس الحياة المعاصر ككل ، أما فيما يتعلق بعالم ما بعد الحداثة هو عالم السيولة كاملة، والمتعالي هو صيغة شاملة لتدمير كل الأوهام والقيم العليا للثقافة التقليدية، كما تعني الميتافيزيقيا كشف الأقنعة عن العمق الأخلاقي في العالم الحديث، أي تجاوز الذات والتعالي عنه، وتقوم هذه الحداثة على تجاوز الميتافيزيقا أيضا، والقضاء على سلطة العقل، كما هو الحال عند سقراط وديكارت وصولا الى فريديريك نيتشه وعليه يمكننا طرح الإشكال التالي: كيف كانت نظرة هذا الأخير إلى الإنسان؟

وبطريقة أخرى يمكننا أن نصوغ الإشكالية التالية: ما هي نظرة فريدريك نيتشه للإنسان؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية التي سوف أحاول الإجابة عنها وهي كالآتي :

1. ما هو الإنسان عند فريدريك نيتشه ؟
2. ما هي الهيئة التي ينبغي ان يكون عليها ؟
3. هل يمكن الوصول إلى إنسان كامل ؟

وهذا ما سوف نجيب عنه خلال رحلة البحث هذه.

أسباب إختيار الموضوع :

1-أسباب ذاتية.

- إعجابي بالموضوع من خلال إطلاعي عليه.
- ميولي الشخصي وتأثري بالفكر الغربي الحديث عموما وفريدريك نيتشه خصوصا.

2-أسباب موضوعية :

- التعرف على شخصية فريدريك نيتشه وفهم طريقته وإسهامه في تطوير المنهج الفلسفي.

فالإشكالية التي يطرحها موضوع البحث ذات أثر كبير على فلسفة القرن العشرين، من تاريخ الفلسفة ككل وخصوصا العالم الغربي، وبمعنى أدق في فكر فريدريك نيتشه، وهذا ما ميزه عن سابقيه، وعن فلسفات العصور التي سبقته.

أما الهدف من دراسة هذا الموضوع فهو :

أولا : إبراز دور ومكانة فريدريك نيتشه في الفكر الفلسفي.

ثانيا : مساهمة فريدريك نيتشه في تطوير وتكوين المنهج الفلسفي.

ثالثا : تسليط الضوء على مجهودات نيتشه المبذولة في أصالة المنهج الفلسفي.

وكحل لهاته الإشكاليات المدروسة في هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التحليلي من أجل معرفة فكر نيتشه ووصف سيمات المنهج الفلسفي، مع تحليل أهم الأفكار وإزالة الغموض واللبس عنها أما فيما يخص المنهج التاريخي فهو إبراز معالم تاريخ فريدريك نيتشه والتعريف به.

وقد تضمنت منهجية البحث ثلاث فصول مسبقة بمقدمة توضح المعالم الأساسية للموضوع، فقد تناول الفصل الأول عنوان الحياة ما قبل التاريخ، متضمنا ثلاث مباحث تمثلت في فكرة العود الأبدي، ثم العدمية، ثم مفهوم القوة عند نيتشه، لنتطرق فيما بعد إلى دراسة الإنسان ومكانته في الفلسفة النيتشويه في الفصل الثاني تحت عنوان: الإنسان وتجاوز الواقع من خلال ثلاث مباحث أيضا: الإنسان غير مكتمل، الإنسان كجزء من الطبيعة وصولا إلى الإنسان الأكثر أخلاقية، أما الفصل الثالث فهو بمبحثين، مبينا كيفية مساهمة موت الإله في ظهور الإنسان الأعلى (السوبرمان)، ليكون هذا الإنسان هو أساس الوجود.

وقد ترتب من خلال ما سبق جملة من الصعوبات وهي كالآتي :

- ضغط نفسي والتوتر المستمر
- صعوبة الطابع التأويلي للغة النيتشوية.

لكنها في المقابل كانت الدافع والمحفز في وصولي إلى الهدف المنشود.

- خاتمة

الفصل الأول

الحياة ما قبل التاريخ

- المبحث الأول: فكرة العود الأبدي
- المبحث الثاني: العدمية النيتشوية
- المبحث الثالث: مفهوم القوة عند فريدريك نيتشه

المبحث الأول: فكرة العود الأبدي

لقد كانت فكرة العود الأبدي* حدثا بالغ الأهمية، فهي بمثابة نور يضيء الأشياء من جديد ويضفي للحياة قيمة جديدة، يضاف إلى ذلك أنها ذات تاريخ بعيد في الفلسفة اليونانية، ظهرت عند هيراقليطس لأول مرة حيث فسر بأن العالم كان منذ الأزل وهو كائن وسوف يكون إلى الأبد ، وقد لوحظ ذلك أيضا في الأساطير الهندية البوذية المقدسة حول الأبدية والخلود، حيث كان الهنود يعتقدون أن الزمن سوف يعود، ويحدث التقاء الزمن الماضي مع زمن المستقبل في نقطة حاسمة هي "الآن"[1].

وقد ذكر نيتشه أنه إذا حدث للإنسان أن تسلل إليه الشيطان وهو في وحدته بمعزل عن الناس واخبره بان هذه الحياة التي عاشها من قبل سوف تعود مرة أخرى ومرات عديدة من غير جديد، فيها معنى ذلك أن كل الآلام والأفراح وغيرها ستعود إليه مجددا، وبنفس التفاصيل ونفس النتائج، فهي فكرة محبطة حقا، لكن مضمونها الميتافيزيقي أن الموت ليس هو النهاية، وان العود الأبدي متوقف على أفعالنا، فما نفعله اليوم يرجع إلينا مرة أخرى ونحن مسئولون عن ذلك، لذي توجب علينا أن نكافح بما لدينا حتى نستطيع أن نكون أكثر مما نحن عليه الآن ونحقق الأفضل لأنفسنا.[2]

* **العود الأبدي** : هي الفكرة المركزية التي تدور حولها أفكار نيتشه (نقلا عنيات عبد الكريم: نيتشه والإغريق)، المرجع السابق، ص 68

[1] ::د.صفاء عبد السلام جعفر: **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**، (دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 282

[2] : لورانس جين وكيتي شين :**أقدم لك نيتشه** ،تر إمام عبد الفتاح إمام ،(المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،مصر 2004)، ص48

نلاحظ أن بداية نيتشه لفكرة العود الأبدي انطلقت من خلال جملة من الأسئلة حول الزمن وعودته، وقد رأى بأن هذه الفكرة سوف تجيبه عن أسئلته و توصله إلى الحقيقة، لذا اهتم بها وطورها.

يقول في ذلك نيتشه « ما غريب عنا تعليمك يا زرا فأنت تقول بأن جميع الأشياء تعود أبدا ونحن معها عائدون وبأننا وجدنا من قبل مرارا لأعداد لها ومعنا جميع الأشياء أيضا »[1].

جاءت فكرة العود الأبدي حينما كان يتجول في إحدى الغابات بسويسرا، فرأى أن هذه النظرية سوف تمكنه من السيطرة على الزمن، وكان يعتمد عليها كثيرا وتجلى ذلك في نقده للأديان على حد قوله«سأعود بعودة هذه الشمس وهذه الأرض ومعي هذا النسر وهذا الأفعوان*، سأعود لا حياة جديدة، ولا حياة أفضل، بل إنني سأعود أبدا إلى هذه الحياة بعينها إجمالا وتفصيلا، فأقول أيضا بعودة جميع الأشياء تكرارا وأبد »، حيث كان النسر يشير إلى إرادة القوة وهي فكرة سابقة، عنده أما الأفعوان فكان يقصد به التعاقب الدوري المستمر للأشياء.[2]

وهدف نيتشه من وراء صيرورة** الوجود المستمرة واللانهائية، فترة تسمى "السنة الكبرى للصيرورة"، أي أنه كلما انتهت دورة هذه الصيرورة تأتي دورة أخرى وتنطلق من جديد

*** النسر والأفعوان وهما حيوانا زرادتش، فالأفعوان ملتف حول عنق النسر وهما يعبران عن العودة الدائمة (نقلا عن جيل دلوز:نيتشه)، المرجع السابق، ص 47**

[1] : فريدريك نيتشه: **هكذا تكلم زراداتش**، تر فليكس فارست،(الجريدة البصيرة الإسكندرية ، 1938)، ص 184

[2] : فريدريك نيتشه: **هكذا تكلم زراداتش**، المصدر السابق، ص 186

** **الصيرورة** وتعني أنه لا بداية للزمان ولا نهاية لحسب نيتشه فهو في حركة دائمة ومستمرة

لتكمل الدورة الأخرى أيضا، مبينا نيتشه أن الزمان مقسم إلى دورات إذ يتبين من خلال ذلك وجود هوية تامة بين الواحدة الأخرى،وعلى هذا الأساس تتكون لدينا فكرة أن التكرار والاستمرار يتم في حلقات الزمان الوجودي من غير اختلاف في ذلك[1] .

يحاول نيتشه إثبات تكرار الزمن ودورانه، موضحا أن نهاية كل دورة لا يتبعها انتهاء الزمن، بل سوف تأتي دورة أرى جديدة، وهكذا في تعاقب مستمر كتعاقب الليل والنهار.

« سنقول بالسنة العظمى وهي كالساعة الرملية تتقلب كلما فرغ أعلاها ليعود أدناها إلى الانسياب مجددا»[2]، ومنه ندرك أن فكرة العود الأبدي ارتبطت حسب نيتشه بالإنسان الذي هو مركز الوجود والزمان الذي أكسبه فكرة السرمدي، أي كل ما هو دائم لا يزول، كما تشير أيضا إلى مالا أول له ولا آخر، ومنه فكل الحالات واللحظات سوف تعود من جديد.

وقد أشار إلى "الدقيقة الكبرى من الزمان"، على أنها الدقيقة الضرورية التي توجد من جديد كل الأحوال التي أوجدت الإنسان في دورة الكون، ثم تطرق فيها بعد ذلك إلى فكرة العلية، فكل حدث في هذا الوجود هو نتيجة لعلة محركة له، شأنها شأن الظواهر الطبيعية، لكل سبب مسبب يعود إليه وهي بدورها ستكون علة الشيء الذي سيحدث بعدها،أي التنبؤ به مسبقا، فالظواهر والحوادث ستتكرر من جديد وفي كل دورة على حساب دورة سبقتها، هكذا فان مصير الإنسان مرتبط بسلسلة الزمان الوجودي، حيث اعتقد أن فكرته أهم الأفكار جميعا، وهي فكرة مخيفة تحدث عنها وكأنها "وحي" أو "إلهام"، ومعنى ذلك الخلود، وبالتعمق

[1] : عبد الرحمان بدوي : **نيتشه خلاصة الفكر الأوروبي** ،ط5 ،(شارع فهد السلام ، الكويت 1975)، ص249

[2] : فريدريك نيتشه : **هكذا تكلم زرداتش** ، مصدر سابق ، ص 189

أكثر في فكرة العود الأبدي يتبين أنها تحمل أكثر من معنى فمن جهة يفسرها على أنها أعلى درجات الحتمية، ومن جهة أخرى الفعل الحر والخلاق الذي تمنحه الطبيعة للإنسان، فالهدف من الفكرة هو ليس كبت الحريات والإبداع، بل على خلاف ذلك فهي أكثر انسجاما مع المذهب الآلي.[1]

لقد توصل نيتشه بفضل فكرة العود الأبدي إلى أن كل شيء دائم في هذا الوجود ومتكرر دون شك من غير بداية ولا نهاية فشانها شأن بقية الظواهر الطبيعية الأخرى.

وتتوطد العلاقة بينه وبين العالم الخالق المبدع الذي يوجد له كل موجود في صورة عود أبدي لا تنتهي، فنحن ندرك جيدا مدى أهمية هذا العود ودوره في كيفية التخلص من القيود والأغلال العالقة بالأشياء الموجودة التي تجعل الإنسان خاضع لها، فأصبح بإمكان الإنسان أن يتعالى فوق تلك الأشياء والموجودات وهو ما فعل ذلك إلا ليعود إليها عودة أصيلة عن ذي قبل ولكن عليه ألا يتجاوزها حتى لا تعترضه مرة أخرى، وفعل ذلك يؤدي إلى نفي العلاقة بين الإرادة والضرورة، وما نفهمه من نظرية العود الأبدي إنها تدعو الإنسان إلى التحرر من سيطرة الموجودات وعليه أن يبدع أيضا شريطة الالتزام بحدوده كي لا يقع في المحظور، "لأن ما تريده الإرادة والضرورة عن الحرية لابد أن يأتي في دورة العود الأبدي، ومثلما اكتسى الماضي ملامح المستقبل، واكتسى المستقبل بملامح الماضي كذلك تكمن الحرية في الضرورة".

[1] : فريدريك نيتشه : **هكذا تكلم زرداتش** المصدر السابق، ص 190

وأن فكرة العود الأبدي لا تعني إنتهاء الحرية بقدر العمل على تخليصها من الحواجز التي كانت تحد منه، فإذا نظر الإنسان إلى العود الأبدي على أنه جوهر الزمان فسيعطيه ذلك فكرة أن ما سلب منه مسبقا سيعود إليه مجددا، ولكن بالمحافظة عليه، فمشكلة الحرية والضرورة تشير عند نيتشه إلى العالم الموضوعي من القوى التي يحدد كل منها الآخر بصورة مطلقة و لا مجال للإختلاف المحدد مسبقا، والحدث الضروري بمثابة تكرار الحدث نفسه، مما يعني أن فكرة العود الأبدي تتجسد في الإنسان الذي تحدده القوى الموضوعية وهي السبب الرئيسي في عودته ثانية مع الموجودات فيصبح حرا في تفسيره ذلك العود في حد ذاته، مما يكسبه السيطرة على مصيره الخاص به فيكون أكثر وعيا في فهمه لماضيه[1].

فنستنتج أن فكرة العود الأبدي تعمل على تخليص الإنسان وتحريره من المعتقدات والخرافات العالقة بها، والتي كان يسند لها جميع الأشياء ويفسرها انطلاقا منها لم تعد بعد الآن موجودة إطلاقا.

تكمن ضرورة العود الأبدي في أن الإنسان يتخذ قرارا بحريته فيحب مصيره الذي هو جزء منه، وهو مقبل على الحياة بكل حب، بصرف النظر عما تخبئه له من آلام ومتاعب .

ومن جهة أخرى تشير فكرة العود الأبدي الواقعة تحت عنوان "الساعة الأكثر صمتا" إلى أن نيتشه* ودع زراداتش وأعلن عودته إلى وحدانيته من جديد، فكانت أشد ساعاته قد تحدثت إليه وهمست له وأرعبته ما دل على حقيقة خفية وباطنية تريد الكشف عن نفسها.

[1] : فريدريك نيتشه : **هكذا تكلم زراداتش** ، المصدر السابق ، ص 382

ونفهم من خلال ذلك أن الساعة التي كان نيتشه يقصدها هي الساعة التي سيظهر من خلالها جوهر الزمان باعتباره الأكثر هدوء وصمتا في الطبيعة، والمراد من ذلك هو حل الالتباس الموجود في هذه الفكرة مستهدفا بذلك الناس الباحثين والمغامرين ذوي الأسفار البعيدة والراغبين في العيش بعيدا عن الخطر، ليخبرهم بفكرته هذه ويبدو الحديث حافل بالألغاز والغموض وهذا أن دل على شيء إنما يدل على أن نيتشه كان يخاطب نفسه ويسكن إليها وهو ما يعرف بالحوار الداخلي ذلك أن نيتشه حينما كان يتحدث عن الإنسان الأعلى كان يستهدف بكلامه هذا جميع الناس فلا يقتصر حديثه على إنسان معين يتوجه إليه، وعندما تكلم عن موت الإله وإرادة القوة فانه كان يوجه كلامه إلى فئة قليلة من الناس،لكن حينما تكلم عن العود الأبدي اقتصر حديثه مباشرة عن نفسه، فأساس هذه النظرية حوار داخلي حدث بين نيتشه ونفسه.[1]

نلاحظ بأن الإنسان اكتسب مصيره من خلال هذا العود الأبدي، وأصبح بإمكانه تحديده وتقريره بنفسه، فيما قد شكلت هذه هاجسا تغلغل في أعماق الفكر النيتشوي وأصبح يطبقها في مختلف جوانب الحياة الإنسانية.

وقد ارتكزت فكرة العود على مسيرة الزمان فكل شيء يرجع إلى حكم الضرورة، ولا بد له أن يعود ثانية وقد شملت إرادة القوة كونها فكرة اصطفائية كبرى تشجب الأمم الضعيفة

*** فريدريك نيتشه : (Friedrich Nietzsche)، فيلسوف ألماني معاصر من مواليد 1844 – 1900، (فريدريك نيتشه مولد التراجيديا، سوريا، دار الحوار ، ط1، 2008، ص15)**

[1] زفريدريك نيتشه : **هكذا تكلم زرداتش** المصدر السابق ، ص400

والغير قادرة على أن تتحملها وما أراده نيتشه أن يصل إلينا هو أن "كل شيء يعود بصورة فكرة العود الأبدي كمبدأ لصالح القوة"، ونفهم من كل هذا أن أهمية العود تكمن في قوة الحياة أي أن الزمان يمضي بلا شك وكلما انقضى ليس بالضرورة زواله وإنما يعنى انقضاءه على أبديته وتكراره على الدوام، فهو دائما في دورة جديدة ومستمرة.

ويعود ذلك بحسب نيتشه إلى عاملين أساسيين :

أولا: أن مفهوم الأبدية لم يفهم بطريقة صحيحة في الفكر الغربي.

ثانيا: أن نيتشه كان قد فهم هذه الفكرة بطريقة مخالفة للتراث الغربي.

مبينا أن فكرة العود الأبدي هي الفكرة الوحيدة التي لم تتلقى الرفض المطلق في المفهوم النيتشوي، فهي تصور ميتافيزيقي تقليدي لأن نيتشه كان قد ثار على كل ما هو تقليدي وسائد بما في ذلك الأخلاق والدعوة إلى التجديد، ومن ذلك وضع تصور جديد عن الأبدية، وعودة الشبيه.[1]

نلاحظ بأنه لا يؤمن بزوال الأشياء أبدا خصوصا بعد اختفاء إرادة القوة على كل شي، وهذه الأخيرة وحدها قادرة على نفي كل موروث وإحداث التجديد.

وقد نتج عن ذلك وجود نوعين :

أولا: أن تكون الأبدية عنده نوع من الكمون التام أو زمانا بلا نهاية وهو ما كان يريده وسعى جاهدا في الوصول إليه فالزمان لا ينقضي ولا يزول

[1] : صفاء عبد السلام جعفر: **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**، ، مرجع سابق ص 419

ثانيا: فتعلق الأمر فيها بفهم الأبدية على ضوء فكرة عود الشبيه وتمت البرهنة على مفهوم الكينونة بالصيرورة والمقصود بها التجديد في دورات الزمان واستمراره ووجود الإنسان في هذا الكون، أما الواحد بالكثرة فقد أشير به إلى الإنسان الأعلى الذي يمثل جميع الناس وكذا إرادة القوة، فيما تعلق بالزمان الذي استند فيه نيتشه إلى حكم الضرورة وعودة الزمان ثانية، وعليه توضح فكرة العود الأبدي وعودة الشبيه، وأنه لا وجود إلى نهاية فهي في حركة متجددة ومستمرة إلى الأمام ومن دون حاجز يحد من تقدمها فنلاحظ أن نيتشه تناول الزمان من جهة واحدة من خلال علاقته بالإنسان، وقد كان التركيز على الجانب الموضوعي من هذا العالم، والحدث الضروري يكمن في تكراره وعودة الإنسان حرا، حيث انتهي نيتشه إلى أن الزمان في ديمومة مستمرة واللامتناهية، وأن العود الأبدي عنده يتجسد في حركة دائرية مستمرة ومتجددة.[1]

يبين نيتشه أن الحياة سوف تصبح جميلة إذا عشناها وتقبلناها بكل آلامها وظروفها، مادام الخلود قائم، وكل هذا بفضل فكرة العود الأبدي التي أزاحت تفسير الأشياء وغموضها عن الخرافات الطبيعية التي أرعبت الإنسان.

وهناك فكرة مركزية في منظومة العود الأبدي النيتشوي وهي بمثابة دليل نتجاوز به الإنسان الأعلى الخير والشر والثواب والعقاب وقد أدرك نيتشه من خلالها الثبات في الصيرورة والاستمرار في الحركة الدائمة ولا شيء يخرج عن قانون الحركة،وبذلك يتم تعريف

[1] : صفاء عبد السلام: **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**، المرجع السابق، ص 420

الزمان من جديد ويظهر العود الأبدي ولن يتوقف الزمان بتوقف الدورة الحياتية بل سيبدأ في دورة أخرى جديدة غير مختلفة عن سابقتها في أي شيء فإذا حدث ذلك وبنفس الشيء فانه العود الأبدي والإنسان كالساعة الرملية يعود ويذهب من جديد دائما وأبدا، فهو تكرار لنفس الشيء ونفس الحياة.

فالعود الأبدي بوصفه لحظة الثبات والصيرورة فهو تأكيد على هذه الأخيرة وليس على فكرة الثبات، وبهذا تحل مشكلة الذات والموضوع، الحركة والثبات، فالعالم حسب نيتشه هو عالم ديونيزي يخلق نفسه دائما ويحطم نفسه بنفس الطريقة، فهو عالم بلا هدف وعالم عشوائي، والإنسان في نظر نيتشه يحقق تحرره بتجاوزه الديانات وأوهام فكر الإنسان الهيوماني أي أن الإنسان سيتحرر تماما من الأحلام والمستقبل والميتافيزيقا ويتحول عبء الوجود في الصيرورة إلى الفرح والسرور وهذا بفضل العود الأبدي الذي يوجد الإنسان في عالم الصيرورة لا محال منه.

إذن فكرة العود الأبدي تخلص الإنسان من خشية الموت الذي هو الخطر الوحيد الذي يهدد حياته، فمن شأن العود الأبدي أن ينفي الموت أصلا، فكل موت نسبي بحسب نيتشه، وعقب كل موت حياة، بل إن الموت لن يعود أبدا إلى مرحلة من مراحل حياة أبدية تتكرر على الدوام، وليس للخلود هنا درجات أو مراحل أو مراتب،وإنما نفس الحياة دائمة للجميع.[1]

[1] : د عبد الحليم عطية: **نيتشه وجذور ما بعد الحداثة** ،(بيروت، لبنان، دار الفارابي، ط1، 2010)، ص 191-192

يمكن القول أخيرا أن فكرة العود الأبدي عند نيتشه تعني الخلود في الدنيا ونفي الآخرة، لان نيتشه لا يؤمن بفكرة الموت أبدا، ويرى بان الحياة هي حياة أبدية لا بداية ولا نهاية لها.

المبحث الثاني: العدمية النيتشوية

تعد العدمية الحدث الأكبر والأعظم في تاريخ الغرب الحديث على الإطلاق، إلى درجة وصل فيها الإنسان الغربي الأوروبي إلى إنكار كل شي، ولم تعد له قيمة تذكر في هذه الحياة، وهذا الوجود بحيث تستطيع وصفه بالمرض الخطير الذي أصاب الحضارة الغربية ككل، وقد عرف عند نيتشه «الانحطاط» أو«الانحلال» وهو التفكك والتلاشي، ذالك أن الإنسان الأوروبي أصيب بنوع من الشك والشؤم والاضطراب وأصبح غير قادر على العيش في عالم كهذا ولا بد له من البحث عن عالم مغاير ومختلف، فوقع أمام خيارين:

إما إن يرمي الإنسان هذا العالم وراء ظهره ويعده وهما، وبالتالي يفقد كل شيء أهميته في نظره أو أنه ينكر وجوده في الواقع، وعليه فهو ينكر ذاته ولم يعد يتقبل هذه الحياة أيا كانت صورتها ومهما كانت النتيجة التي توصل إليها فانه في كلا الحالتين يعد إنكارا مطلقا.

يشتمل الإنكار الأول على كل القيم والثاني إنكار لقيمة الحياة، إذن لا معنى للوجود من ذلك وهذا هو السبب الحقيقي في تحطيم وتدمير حياة الإنسان الأوروبي[1]، لكن نيتشه لم يصمد أمام هذا وصرح بقوله «إن العالم يسير حتى الآن على أوهام ويعتمد على قيم باطلة وللأسف الشديد كانت هذه هي نهايته أما نحن فلن نستسلم لها ولا بد لنا أن نعالجها»[2].

فنلاحظ من هذا أن نيتشه لم يرضى بهذه الحالة التي وصلت إليها أوروبا واتخذ من هذا الضعف نقطة دفاع لتخليص الإنسان من هذا الوضع البائس،كما أن السبب في الضعف هو

[1] : عبد الرحمن بدوي: **خلاصة الفكر الأوروبي** ، مرجع سابق ، ص158

[2] : **المرجع نفسه، ص 159**

نفسه السبب في النهوض به فهو سلاح ذو حدين ولو أحسنا استخدامه فإننا نتوصل بذلك إلى مستقبل عظيم وزاهر للإنسانية ككل وهو ضرورة حتمية على البشرية إن أرادت تغير مسار تاريخها، فالانحلال يصيب أي عصر وأي شعب،كما يعني الانحلال عند نيتشه أنه شيء لاستحق أن نحارب من أجله لأن الخلل في حد ذاته يكمن في البشرية نفسها أي في المعتقدات لتي تؤمن بها و انه لا بد من إيقاف انتقال تلك العدوى إلى أجزاء الكائن العضوي السليمة وهذا هو المرض الحقيقي الذي حذر منه نيتشه.

وفي ذلك يقول نيتشه « لم نيأس والتشاؤم الحديث تعبير عن بطولات العالم الحديث فحسب؛ لا عن بطلان العالم والوجود بوجه عام»[1]، فإذا أردنا الانتقال بالعدمية من حالة باطلة لا تعمل إلى حالة أفضل تجعل من هذا الإنسان كائن محب للحياة ومتعلق بها، فجينيالوجيا الأخلاق تبين أن ممارسة فعل التفلسف تكمن في القيم ذاتها، ما يتوجب على الفيلسوف أن يفهمها فهما جيدا ويدرك مدى أهميتها في حل مشكلة التقيد، حتى يستطيع أن يقوم الوجود، وكل ما أراده نيتشه هو إخراج الإنسان الأوروبي الغربي من حالة سلبية إلى حالة ايجابية أفضل، ووضع حد لهذا الصراع الدائم الذي يعانيه ويتجاوز به إلى واقع يدرك فيه جميع حقائق الأشياء وماهيتها، لذي استهدف نيتشه جانبين أساسيين هما: الأخلاق والدين والانطلاق من رؤية جديدة ومغايرة للإنسان، أي تقييمه تنقله من حال الضعف والوهن

[1] : د محمد الشيخ: **نقد الحداثة في فكر نيتشه** ، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، ط1،2008)،ص 273

والسيطرة العبودية باسم العقلانية إلى حالة جديدة يثبت فيها وجوده ويفرضه على واقعه، وهذا يوحي بفكرة القول الخروج به من الظلمات إلى النور.[1]

فنستنتج بأن نيتشه يحاول إنقاض الإنسانية من الحال التي وصلت إليها والخروج بها إلى عالم أفضل، ولن يحدث ذلك إلا بقتل بهذه الأوهام و المعتقدات التي كان الإنسان الأوروبي يقدسها ويؤمن بها، والتي كانت السبب الرئيسي في ضياعه، وفعل ذلك يتم بتحطيم الأصنام التي بنيت عليها الهياكل والمعابد والتي كانت عبادتها باطلة، أي تغير جذري وإعادة البناء من جديد، وهذا ليس بالأمر السهل على الإطلاق، فهو شاق ويتطلب مهارة وصبر وشجاعة والهدف منه هو إيصال الرسالة الجديدة إلى البشرية ككل حتى تبلغ درجات العلو والارتقاء.

فالعقل الحر هو الذي لا يجزع إذا رأى ما يخالف المألوف، فله كامل الحق في أن يخلق آراء جديدة، وان يعبر عما يجول في داخله وبالقدر الذي يشاء، أما العقل المستعبد فهو الذي يراء كل شيء صوابا، فالمهم أن يكون في خدمة مصلحته، ولا يود أن يتطلع إلى ما هو ابعد من ذالك، فنيتشه كان قد بحث في مجال الانطولوجيا عن مشكلة الوجود وكل ما تعلق بها مركزا في ذالك على القيم، ما أدى إلى زعزعة الكيان الفلسفي التقليدي الأول الذي سار عليه قدماء الفلاسفة والمفكرين في كل ما يخص الوجود والمعرفة.[2]

[1] : **د محمد الشيخ:** نقد الحداثة في فكر نيتشه ، **المرجع السابق، ص 284**

[2] : د محمد الشيخ: **نقد الحداثة في فكر نيتشه** ، المرجع السابق، ص 284

وبما أن العدمية شيء عظيم كعظمة بقيمة الأشياء فإنها تضع الإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما وهي:

إما أن يبلغها أو أن يصمد أمامها ويرضى بالأمر الواقع ولذلك اعتبر نيتشه أول عدمي في أوروبا، وه

و تذوقها بكل أنواعها ولقد استخدم مشروعه الفلسفي و المتمثل في إرادة القوة كبديل مضاد للعدمية، والبديل عنها فيما رأى أن هناك فرق بين العالم الغربي والعالم الذي يحيا فيه، وأن العديمة شيء ضروري في هذه الحياة وهي شرط سيكولوجي، كما أنها تتجسد في ثلاثة مظاهر وهي: "الانحطاط" وثانيا : المحافظة على الإنسان وما يؤمن به بينما يتجلى المظهر الثالث في الجماهير أو المجتمع.[1]

تحتاج الإنسانية إلى مشروعا جديدا من القيم لكي تقيم من خلاله أفعالها فيما إذا كان هذا خير أم شر، والتفرقة بين الحق والباطل، وكل هذه الأفعال تستند إلى جملة من الأحكام اصطلح الناس على وضعها وعلى أساسها تسير الحياة وهو ما يعرف بالقيم، لان قيمة الشيء لا تكمن في ذاته وإنما الإنسان هو الذي يحدد قيمة هذا الشيء بالنظر في طبيعته وجوهره إذا كان خيرا أو شرا وبالتالي يمكننا القول أن الإنسان هو من يضع القيم ويحددها كما هو الحال عند الوجوديين والبراغماتيين.

[1] :محمد أندلسي: **نيتشه وسياسة الفلسفة** ،(المغرب، الدار البيضاء، ط1 2008)، ص58-60

وباعتبار أن الإنسان مقياس الأشياء جميعا، فهذه الأخيرة تؤدي إلى خلاف وفوضى والكل يحكم حسب هواه ومجتمعه ووجوده، لذا يتوجب الحكم تبعا للأشياء باعتبارها ثابتة غير متغيرة ولا تختلف باختلاف الأفراد، فرجال الدين يرجعون ذلك إلى الله والكتب المقدسة، في حين يسندها الفلاسفة إلى عالم أعلى وضعت فيه هذه القيم بأعلى صورها، وانه لا بد من الرجوع إلى العقل، وفي مقابل ذلك حكم نيتشه على هؤلاء بخداع أنفسهم وانه لا فائدة من نقاشهم هذا مادام لا يساوي شيء أمام بحث علمي يستهدف المصادر الحقيقية للقيم.

وللعدمية النيتشوية أربع معان وهي كالآتي :

1-تبخيس قيمة العالم المادي باسم عالم آخر مفارق

2- تبخيس قيمة العالم المثالي وهذا العالم المحسوس

3- محاولة للفعل بدون أي تبرير مستمد من الإيمان بعالم أخر واستبدال الأساس الإلهي للقيم بأساس إنساني.

4-إرادة أفول التمرد وهدم الألواح القديمة وبناء ألواح جديدة.[1]

والهدف من كل هذا هو إحداث انقلاب جذري في القيم بهدف تكوين الإنسان المتفوق، الذي ينبثق عنه الإنسان الأخير، ولتحقيق ذلك لابد من تغير القيم التي كانت سائدة كما يجب عليها أن تتنحى كليا عن مكانها وتحل محلها الحياة، وتجاوز العدمية حسب مفهوم

[1] : محمد أندلسي: **نيتشه وسياسة الفلسفة** ، المرجع سابق، ص 60

النيتشوي لا يتم إلا بالتغير الجذري في تلك القيم، مع إبطال معنى الغائية والوحدة في تفسير الوجود.

ويقول نيتشه «إننا ننكر الله ننكر مسؤولية الله، بهذه الصورة ليس غير سنحرر العالم»[1]، وبالتالي أصبحت العدمية نبوئية نيتشوية، وعليه فان نيتشه اعتبر نفسه أول عدمي في أوروبا، وهو في هذه يبين أنه لم يفرض عليه ذلك بل كانت رغبة منه وواقع حال هو عليه وكان يفرض رفضا مطلقا أن يتخلى عن عصره، وبهذا استطاع أن يؤثر في نفسه وفي الآخرين، والتخلي عن الإيمان بأي اعتقاد سابق، وهو بطبيعة الحال الإيمان بالحياة، حيث أن المرء بإمكانه العيش من غير الإيمان بشيء، ويكون ذلك بالتخلي عن الاعتقاد بالإيمان نهائيا والتوجه نحو العدمية القصوى، لقد أنهى نيتشه كل شيء وقام بتحويل العدمية من عدمية سلبية غير فعالة إلى عدمية ايجابية أكثر عملا[2].

ومفاد العدمية عند نيتشه يتجلى في صورتين فالأولى بمثابة نفي وهي في هذه الحالة تكون سالبة وفي صورة أخرى وجدت في حالة إثبات وهي بهذا المعنى فاعلة، فالسلبية ارتبطت عنده بالقيم في حين ارتبطت الثانية بالخلق والإبداع والبحث، فالعدمية السلبية تعني اللاوجود وانعدام القيم وهذا يعني أن الحياة كلها وهمية ومنعدمة بمعنى أخر أن الوجود فاسد، وإفراغ الحياة من محتواها وقيمتها يتطلب البحث على حياة أفضل في عالم أخر، ذلك أن القوى التي كانت مسيطرة هي قوى سلبية مهيمنة تحت عنوان "التاريخ المظلم للإنسان"

[1] : ألبير كامو: **الإنسان المتمرد**، تر نهاد رضا (بيروت، منشورات عويدات ،ط3،1983)، ص85

[2] : ألبير كامو: **الإنسان المتمرد**، المرجع السابق، ص87

أي الانحطاط، أي أن نظريته تشاؤمية خاضعة لمعتقدات الماضي، فالحياة خالية من كل معنى وهذا سوف يؤثر حتى على الأقوياء والسعداء بحسب نيتشه لان القوى الفاعلة أصبحت قوى منفعلة أي انقلبت على ذاتها بدل ردة الفعل لتصل إلى مرحلة سامية، ويتضح من ذلك أن العدمية السلبية أو الإرتكاسية عند نيتشه بعثت بالتدهور والانحطاط الانحلال الذي تعرضت له الحضارة الأوروبية الغربية بصفة عامة، وهو أن الإنسان عدمي في جميع المجالات[1].

يحدد نيتشه نوعين من العدمية إحداها سالبة والأخرى موجبة حيث أن هذه الأخيرة هي من تحقق معنى الحياة في نظره.

وانطلاقا من هذا الرفض النيتشوي للقيم والمعتقدات السائدة كالأصنام والأوثان التي كان الإنسان الغربي يقدسها، فيما مضى والرفض للجمود والركون وتقديم الحلول للنهوض بذلك.

أما فيما يخص العدمية الايجابية فيمكننا القول أن السلب مع السلب أعطى صورة ايجابية ضد النفي والإرتكاس، ذلك أن لكل شيء نهاية، وان النفي إذا وصل إلى أقصى درجة يفقد مقدرته وينقلب إلى قوى فاعلة أي الإثبات، وعرف بإرادة القوة والتي بفضلها يتم توليد الإثبات والتجديد، ويحث نيتشه الإنسان الذي يريد الإبداع سواء كان ذلك في مجال الخير أو الشر لابد له من هدم كل شيء سبق والانطلاق من جديد، وكل ما أراده هو

[1] : جيل دلوز: **نيتشه**، تر أسامة الحاج، (بيروت،لبنان، المؤسسة الجامعية،ط1998،1)، ص 189

المعالجة بصورة ايجابية بالانتقال من مرحلة الارتكاس إلى مرحلة الإثبات، لأن الإبداع ضرورة حتمية تستوجب صراعا مع القوى غير الفاعلة بغية الإثبات.[1]

وبهذا نلاحظ إن الإبداع بحسب نيتشه اقترن بالهدم والتدمير الشامل للنفي، أصبح شرط أساسي في الإثبات وتحرير الحياة من كل القيود، إلى حياة جديدة وفاعلة مليئة بالحركة يشعر فيها الإنسان بالثبات فوق أرضه، وما يصاحبه من سعادة وطموح وحب للحياة والتحرر من كل الأوهام والخرافات التي كانت عالقة به، والتي وقفت حاجزا بينه وبين تقدمه فترة من الزمن، وهو ما يوحي أن الإبداع النيتشوي بمثابة خلق عالم جديد تسترجع فيه الحياة قيمتها ويسكن إليه الإنسان وهو الدائم والمبدع فيه.

[1] :جيل دلوز : : **نيتشه** ، المرجع السابق، ص 190

المبحث الثالث: مفهوم القوة عند فريدريك نيتشه

تتجلى القوة لدى الإنسان في الاستقلالية والإبداع والتحكم بالنفس والارتقاء بها عن طريق تجاوز كل ما يعرقل إنسانيته وحريته وقوته على الأرض، وبناء مجتمع يعج بالأقوياء وبالتالي يصبح الإنسان سيد نفسه وسيد العالم، ويعود هذا إلى مختلف الانجازات التي يقوم بها الإنسان فوق أرضه، فإرادة القوة تعني قلب كل القيم بمعنى تجرد الإنسان من ماضيه كليا، والتطلع نحو مستقبل أفضل يدرك فيه القيمة الحقيقية لكل القيم التي غابت عنه في السابق وأنه اليوم بحاجة إلى قيم جديدة تعوضه كل ما افتقر له.[1]

وبإرجاع الوظائف العضوية إلى إرادة القوة يصبح كل شيء واضح بفضلها ولاشيء يعادلها، وبتطبيق هذه النظرية النيتشوية على مختلف الظواهر وصولا إلى الفرضيات والملاحظات، تتبين طريقة تفكيره، والتي تجسدت في المعرفة على غرار أنها وسيلة من وسائل القوة، والتي اتضح أنها تنمو وتزداد كلما زادت تلك القوة، وتتوقف الرغبة على المعرفة بتوقف إرادة القوة فكلاهما يتمم الآخر، حيث أن الهدف من المعرفة ليس هو الإدراك، بل هو السيطرة والتخطيط، لأنه يفرض نظاما على الانطباعات والإحساسات التي نتطلبها، ونحن من يحول واقع الصيرورة إلى وجود معبرين عن ذلك بإرادة القوة بالمعرفة الشاملة للعلم حتى نفهم الطبيعة ونبسطها بغية التحكم فيها.[2]

---

[1]: فريدريك نيتشه: **إرادة القوة**، تر محمد الناجي،(المغرب، إفريقيا الشرق، 2011)، ص 11

[2]: فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة من فيشته إلى نيتشه**، تر إمام عبد الفتاح إمام،(القاهرة، المركز القومي، ط3،2016)، ص 121

فيتضح لنا أن نيتشه يؤكد على إرادة القوة في العالم، وما من شيء يساويها متجاوزا بذلك إرادة الوجود وإرادة الحياة، إذ نفهم أن هذا العالم هو وحدة ميتافيزيقية وهو الصيرورة فإرادة القوة هي عملية سيكولوجية وإنسانية تزود الحياة العضوية، وهي بمثابة شيء حي يحاول قبل كل شيء إفراغ قوته ومحتواه إذن فإرادة القوة تفسر مبدأ الحياة في الحفاظ على الذات.

يقر نيتشه أنه بالرجوع إلى العلم العضوي نجد أن عامل الكثرة راجع إلى توحيد القوى المشتركة في هذه الحياة بصورة مستمرة ودائمة، وأن الكائن العضوي مركب معقد وبحاجة إلى ازدياد تلك القوى حتى تتغلب على ذلك، والأمر ذاته يتبع بقية الوظائف العضوية الأخرى.

وقد طبقت إرادة القوة على الإنسان في المجال السيكولوجي، مستبعدا هذه القوة بان لا أساس لها من الصحة، موظفا إياها باسم اللذة والألم، فيما تعتبر القوة خاصية داخلية للفرد.[1]

إذ لا تتحقق إرادة القوة إلا إذا استخدمت قوة أخرى ضدها، فيما أرجع العلم إرادة القوة إلى فهم الطبيعة وترابطها، وإقامة علاقات علية بين القوى المنفصلة، ما أكد أن إرادة القوى ليست كأي قوة وإنما هي القوى الباطنية والداخلية، وبالرجوع إلى المفهوم الأنطولوجي يتم فهمها بشكل مغاير عما هي عليه وهي أوسع من الحياة، وهي ليست إرادة ميتافيزيقية تعالي الحرية ولا سيكولوجية، "وحدة الأنا" أو إرادة سياسية قائمة على إصدار الأمر بل إنها ممتدة

[1] فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة من فيشته إلى نيتشه،** المرجع السابق ، ص 122

على نحو أوسع لتبلغ مالا نهاية وتتجسد في كل حدث،لان ما نعيشه يعود من جديد،الذي وجب علينا أن نكون أقوياء،حتى مسألة الموت فنيتشه لا يريد أن نكون فيها جبناء.[1]

يتبين من كل هذا أن نيتشه يفضل الموت الإرادي والعمل بجهد لبناء قيم جديدة،لأن لذة السعادة تأتي بعد الألم والمعاناة كذلك تحطيم الإرث الماضي، خاصة ما يعترض طريق تحقيق ذواتنا واثبات وجودنا، وفكرة الإرادة تعني العلو أي نحن من نرفع أنفسنا إلى ذلك المستوى الراقي، فهي إرادة تجعل الإنسان يشعر بالحرية التامة بعد الذي أصابه في حياة سابقة، فالإنسان بطبعه متفائل، وأنه إذا أراد التحرر والتخلص من القيود والتبعية لابد له من إرادة القوة التي تمكنه من الاعتماد على ذاته ورسم طريق حياته مع رغبته المستمرة في الإبداع والتجديد فالحياة تكمن في إرادة القوة.

وإذا كان التقويم هو إثبات الحياة وجوهرها ورغبة يسكن الإنسان إليها متجاوزا كل القيم السائدة خالقا قيم جديدة، فلا بد له من منطلق إرادة القوة التي هي أساس هذا التقويم، وبما أن فلسفة نيتشه تعلقت بالحياة في مجال القيم فان هذا سوف يؤدي بالضرورة إلى المساواة بين إرادة القوة من جهة والحياة من جهة أخرى، وجعل العالم والوجود والحياة جوانب متعددة ومختلفة لإرادة القوة، لان جوهر الحياة نفسها هو إرادة القوة،وهي المقدرة التي يستطيع الإنسان من خلالها السيطرة على الغير، وبجعل الأشياء خاضعة لسلطته وهيمنته، فإرادة القوة تتمثل في السيطرة والتحكم، وهما غاية الكائن القصوى وطاقة للخلق والإبداع في تكوين

[1] : بيرمو نتيبيلو: **نيتشه وإرادة القوة**، تر جمال مفرح، (بيروت لبنان، الدار العربية للعلوم،ط1،2010)، ص103

الأشكال والصور، ولذا نلاحظ أن نيتشه فيلسوف تسكنه القوة فهي في نظره إرادة الخلق والصنع[1]

وحسب نيتشه فان هناك معنيان لإرادة القوة :

1-أن الهدف مفهومي القوة والضعف مستخدمين في السياق الجينيالوجي النيتشوي وهو تأكيد للطابع المزدوج لإرادة القوة.

2-يمكن اعتبار إرادة القوة مبدأ عام للحياة وغياب هذا المبدأ هو غياب للحياة نفسها وانتفاء لكل موجود حي.

وأي احتقار وتهميش في استخدام القوة يعتبر مخالفة للحياة وإنقاص من قيمتها لأنها متجسدة في كل الكائنات الحية بما في ذلك الإنسان والحيوان والنبات[2]

ما جعل نيتشه يتخذ موقفا جديدا من ذلك ورفض أي توجه نحو الفكر السائد، إذ يرى بأن التحكم والسيطرة لن يحدث إلا بتجاوز الذات ذاتها، وأن تتجرد الذات وتتعالى عما هي عليه أي الارتقاء والسمو، وهذا التجاوز يرتبط بالكائن الموجود على حسب إرادته التي تحركه.

متغلغلة في الغرائز والأهواء والانفعالات، أما الهدف من كل هذا فهو الوصول إلى أكبر قدر من التحكم والسيطرة لدى الكائن عن طريق الإبداع، وقد عارض نيتشه أقوال الفلاسفة الذين اعتبروا أن ممارسة إرادة القوة هي غاية في ذاتها، أو أنها قوة من أجل القوة وعلى

[1] : د عبد الحليم عطية : **فلسفة القيم نماذج نيتشوية** ، تر نبيل عبد اللطيف،(بيروت ، لبنان، منتدى السوبر،) ص63

[2] : يوحنا قمير : **نيتشه نبي المتفوق**، (بيروت، دار الشرق 1986) ،ص 23

الميتافيزيقا القديمة أيضا، وأعلن أن إرادة القوة هي خلق وإبداع من جديد يحرر الكائن الحي بفعل خلق قيم جديدة.[1]

فهي تحث الكائن الحي في داخله وتوجه إليه الأوامر على تجاوز ذاته والارتقاء بنفسه إلى أعلى المراتب، وزيادة قوته حسب إمكانياته، ومنه تستمد إرادة القوة أحكامها فنستنتج نوعين من القوة ونوعين من الحياة، قوة فاعلة وأخرى سالبة من جهة وحياة صاعدة وحياة منحطة من جهة أخرى.[2]

"هذا المفهوم الظافر للقوة" وهو الشرح النيتشوي لإرادة القوة ومن خلاله خلق الفيزيائيون الله والكون، وهو بحاجة إلى مكمل لذلك وجب علينا أن نسند إليه إرادة داخلية تسمى إرادة القوة، لكن بصورة مختلفة، إنها مكمل للقوة وشيء ما داخلي في الوقت ذاته فإن إرادة القوة هي العنصر الذي ينبع منه في آن معا الفرق في كمية القوة الموضوعة في علاقة بعضها ببعض والنوعية التي تعود في هذه العلاقة إلى كل قوة، وعليه فإن إرادة القوة تكشف طبيعتها فهي مبدأ تأليف القوة وهو ما تعلق بالزمن فيعيد المنتج نفسه، وقد أطلق عليه نيتشه تسمية العنصر النسبي في القوة[3].

[1] : يوحنا قمير، المرجع السابق ، ص 28

[2] : بيار بودو :**نيتشه مفتتا**، تر أسامة الحاج (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1996)، ص 137

[3] :جيل دلوز: مرجع سابق ، ص ص 80، -81

وهو ما عرف عند نيتشه بالتعاقب إذ يتضح لنا وجود علاقة في إنتاج الفرق بين قوتين أو عدة قوى كما أن إرادة القوة بحسب نيتشه ليست هي ما يؤدي إلى معرفه الشيء فقط وإنما تحديده وتعينه وهذا يعطي للشيء قيمه للشيء قيمته أو ما يعرف بقيمة القيم.

فإرادة القوة هي المحرك الذي يحرك الأفراد و التاريخ والصراعات العسكرية و التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثورات الأخلاقية الجمالية...الخ، والعلاقات في ما بينهم، وبهذا أصبحت إرادة القوة الركيزة الأساسية للفلسفة النيتشوية، وقد أنكرت هذه القوة فكرة الثبات الأنطولوجي والأخلاقي وأكدت على الصيرورة، في ما حلت القوة أيضا محل الوجود أو العقل في الفلسفة التقليدية، ومحل الصدفة في الفلسفات الطبيعية والمادية، على الرغم من أنها لا تختلف عن كل من الصدفة أو الطبيعية إلا في درجة الكمون.

ويعد نيتشه الفكر تعبيرا عن إرادة القوة ، فهناك معايير يسوغها الإنسان تستند إلى مبادئ الفكر والمنطق ، والتي تتمثل في الخطأ والصواب ،الذات والموضوع، الجوهر والكل، الشيء.

لذي قام نيتشه بخطوة حاسمة في خلع النسبية و السيولة المعرفية على كل شيء عن الحقيقة الموضوعية والذات المدركة أيضا وكبديل لذلك يفترض وجود أصل الحقيقة "بناء مادي تحتي" للمحافظة على البقاء والقوة .

فالمعرفة والقوة لا يعبران عن الواقع أو يقتربان منه وإنما يعبران على مدى نجاح إرادة القوة في فرضه ونجاحه،بمعنى أن يفرض الإنسان نفسه على أنه حقيقي "فالناجح هو

الحقيقي والفاشل هو غير الحقيقي"، حيث أن هذا الأخير لا يرجع إلى منطق مغاير وإنما يعود أساسا إلى منطق القوة وقد سمي عند نيتشه "بالديونيزية" وهي الحقيقة التي يؤمن بها الإنسان الأعلى كمحاولة للهروب من التفسير والهروب بحقيقة نهائية وواحدة ألا وهي الصيرورة الدائمة والتعددية اللانهائية.[1]

لأن السوبرمان يحتاج إلى موقف متميز بالقوة و الشجاعة والصرامة،وقد سمي عند زرداتش بإرادة القوة،وهذه الأخيرة التقى بها نيتشه عند شبنهاور وبالتالي يكون هو السيد على الضعفاء عظمت وأن الإنسان الأعلى بإمكانه أن يجسد إرادة القوة على نحو شامل.

[1]: عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق ، ص 180-181

الفصل الثاني

الانسان وتجاوز الواقع

- المبحث الأول: الإنسان غير مكتمل
- المبحث الثاني: الإنسان جزء من الطبيعة
- المبحث الثالث : الإنسان الأكثر أخلاقا

المبحث الأول: الإنسان غير مكتمل

يعد الإنسان مركز الفلسفة النيتشوية وشيء لابد من تجاوزه وهو ما دفعه إلى التطلع إلى المفاهيم التي تعبر عن الفلسفة الإنسانية، لكن بطريقة مختلفة عن السابقين الذين تعاطوا مع الإنسان فلسفته، فالإنسان المطلوب في تجاوزه هو إنسان القيم البالية الميتافيزيقية واللاعقلانية.[1]

كانت نظرته للإنسان الحالي نظرة تشاؤمية إذ وصفه بالدودة الحقيرة والقرد، وكان حلمه لسوبرمان أو الإنسان المتفوق الذي يعلو كل المقاييس البشرية، وعليه فإن الإنسان الحالي يثير اشمئزازه وأن الله خلقه في صورة قرد يلهو به في أبديته الطويلة، فالإنسان هو أعنف الحيوانات وعندما يفكر فهو الحيوان الذي يصدر أحكاما وهو مرادف للمرض والاعتدال، وأنه لا يدرك نفسه إلا من الخارج فالإنسان حيوان معقدا وماكرا وغامضا وكاذبا وقد ذكر بأن الخطر الذي تلقاه زراداتيش من الحيوانات أقل بكثير من الخطر الذي وجده في الناس، ولهذا اتصف الإنسان بصفة الحيوانات بما في ذلك حيوانات زراداتيش نفسه صاحب النسر رمز القوة والفخر والحكمة والثعبان الماكر والمحتال، وما هو إلا حبل مشدود بين الحيوان والسوبرمان حبل فوق الهاوية، خطر من عبور الهاوية، وخطر سلوك هذا الطريق والالتفات إلى الوراء يعد خطرا بذاته.[2]

[1] :مجدي كامل: **فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر**، (القاهرة، دمشق، دار الكتاب العربي،2011)، ص 253

[2] : لورانس جين و كيتي شين : مرجع سابق، ص 86

كما كانت نظرته تشاؤمية أيضا بالنسبة للمرأة فقد عبر نيتشه عن كرهه الشديد لها، على الرغم من أن أمه كانت متدينة، وأخته التي كانت أقرب الناس إليه، إلا أن هذا لم يمانع من وصفهن بالقطط والطيور والأبقار، وأن دورهن في الحياة لم يقتصر إلا على ترفيه الرجال المحاربين وشغلهن هو اللهو والكلام الفارغ ، وحتى أن الشرق كانوا محقين في نظرتهم إليها حين وصفوها بأنها قطعة تباع في حال ما إذ قررت الانفصال عن الرجل.[1] وفي ذلك يقول «إذا ذهبت إلى امرأة فلا تنس أن تأخذ معك سوطك»[2]

يميز نيتشه بين الرجل والمرأة وهذه الأخيرة لا تعني له شيئا، لذا أنقص من قيمتها في حين يرفع من قيمة الرجل ذلك أن السوبرمان يندرج من هذا الجنس الذكوري.

ولم يمثل الإنسان في عصر نيتشه إلا جملة من المغالطات الدينية والميتافيزيقية والأخلاقية إلى درجة تم وصفه فيها بالمرض الخطير سريع الانتشار في الأرض، وقد درسه نيتشه في صورة انثروبولوجية شملت جميع نواحي التاريخ البشري، بما في ذلك الحياة ما قبل التاريخ، ثم التدرج إلى المجتمعات والثقافات، ولهذا ارتبطت نظرته للإنسان بالحيوان ولم تنفصل عنه إلا في النموذج الإغريقي والمتفوق، ما اسند انفصالهما إلى قيم بشرية يضعها الإنسان بنفسه.

لأن ما تميز به الإغريق هو التفوق، وذلك بانتقالهم من الاهتمام بالمعرفة إلى الحياة ذاتها، فالإنسان الهنلسنتي كان يعبر عن حياته الأبدية بجملة من الرموز والطقوس وتجاوز

[1] : د رمسيس عوض: **ملحدون محدثون ومعاصرون**،(لندن، سيناء للنشر، ط1 ،1998)، ص 21

[2] : د رمسيس عوض: **ملحدون محدثون ومعاصرون**، المرجع السابق، ص 22

الموت، لأن هذا الإنسان سخر الحياة لخدمته جاعلا من قيمتها مقياسا، والإنسان ككائن يقوم أو أنه الحيوان المقوم على الإطلاق، فبمجرد إنكاره لهذا ومحاولة الهروب منه يعد في نظر نيتشه خارج الدوائر الإنسانية.

وإذا كان الإنسان مقولة لابد من تجاوزها لذا سعى جاهدا أن يوضح هدفه الأساسي والذي يريد من خلاله التحول من هذا الإنسان إلى الإنسان الأرقى، والذي بالإمكان وصفه بطل إثبات الحياة الصاعدة ومنه فان "ديونزيوس" رمز الكائن الممتلك للطاقة الجبارة.[1]

فنلاحظ من خلال هذا أن الإنسان الأوروبي القديم شكل عائقا وحاجزا أمام فكر نيتشه ما جعله يصفه بالمرض والتشاؤم، خاصة فيما يخص المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها، ولهذا اهتم به نيتشه ورصده من جميع الاتجاهات، متوصلا بذلك إلى اندراجه من أصل حيواني يصعب الفصل بينهما، فيما اكتشف بأن الإنسان الإغريقي بعيدا عن ذلك، لأن هذا الأخير كان قد وضع لنفسه اهتماما بالمعرفة والحياة بدل الخضوع إلى العادات والتقاليد السائدة.

وقد أكد على تجدد الوجود الإنساني، إذ انه ليس للإنسان ماهية ثابتة، فوجوده سابق عن ماهيته، فهو من يكون هذه الماهية انطلاقا من وجوده مع العلم انه ليس هناك ماهية سابقة عنه ومنه صرح بان الإنسان في محاولة دائمة ومستمرة لا تعرف الثبات ولا يرضيه شيء أو يحد منه، فالإنسان في نظر نبتشه "الحيوان الذي لم يثبت بعد"، وهو الحيوان الذي لم يتمكن

[1] : مجدي كامل : **فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الاكبر** ، مرجع سابق ، ص 44

من تحديد صنفه ونوعه، وأن في الإنسان شيء أساسي ناقص، لكنه في مقابل هذا النقص لديه القدرة على تحديد ماهيته انطلاقا من تحديد وجوده على الدوام.

كما عرف الإنسان عند زراداتيش بأنه خالق لذاته فمن هذا النقص اكتسب الإنسان حريته، فالفكرة الأساسية عند نيتشه تمثلت في إرادة القوة على نحو جعل منها مظهرا لهذا المبدأ العام، الذي تميزت به الوجودية، معنى ذلك أن الإنسان كائن يتجاوز ماهيته بشكل دائم ولا يتوقف عند هذا الحد.

لأن الإنسان الحقيقي هو الإنسان الذي يسير في الطريق مخلفا وراءه حالة سابقة متطلعا إلى حالة متعالية عنها، أما الذي هو عكس ذلك أو لا يسير في طريق ولم يشعر بالخطر، فهو إنسان لم تتحقق إنسانيته بعد، الذي سمي عند نيتشه بالإنسان الأخير، وهي فكرة جديدة من أفكار فريدريك نيتشه، وهي القوى الخالقة للإنسان والتي ترتفع به عند ذاته.[1]

إذ يتبين لنا من خلال ذلك أن نيتشه كان دائم النفور بدوره من الصورة الحالية للإنسان العادي، وكل ما يريده من هذا الإنسان هو أن يضحي بنفسه لبلوغ الحقيقة العليا، لان هدف نيتشه من هذا الأخير اقتصر على تجاوز هذا الإنسان لذاته، لكي يساهم في إبداع الإنسان المتفوق أو الأعلى.

[1] : مجدي كامل: **فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الاكبر ،** المرجع السابق ، ص 45

فالإنسان الأخير عند نيتشه هو الإنسان الإمبراطوري الذي عاصره في حال الانتقال من نطاق الدولة الأمة إلى أفق الدولة، ومن الحروب الأثينية إلى الحروب العالمية، قائلا هذه هي الإمارة الكونية للعصر الحديث[1].

ويفترض نيتشه أننا لو نظرنا إلى كانطية الإنسان الأخير نظرة نيتشوية لتوجب علينا إعادة صياغة السؤال كيف يمكن لهذا الأخير أن يتعلم؟ كيف يقذف بسهام شوقه إلى ما وراء الإنسان؟ فيجب أن يأتي من الإنسان ما يفوق الإنسان، بمعنى ما وراء الخير والشر، فنيتشه يرى بأن هذه الأخيرة ليست بالأمر القطعي أي النهائي، وليست احتراما للقانون الخلقي لدى كانط فيما عرف بالواجب الأخلاقي، ولا إرادة خيرة أو حرة، على أنها كانطية نصفها عدمي، باعتبار أن الإنسان الأخير هو فرد امبراطوري تستمر حياته بعد موت الإله، أما النصف الآخر فهو استطقي، وأن الإنسانية لا تملك دليلا قطعيا على وجوده الحالي سوى تحويل الحياة اليومية إلى أثر فني تستدل به على وجودها فيما بعد، وهذه هي كانطية نيتشه في فينومينولوجيا "الإنسان الأخير"، فتأثره بالنظرية الدورانية للتطور جعلته يصل إلى أن الإنسان غزوا طبيعيا اعتقد في أخر مرحلة من مراحل حياته أنها حياة عضوية، وهذا التطور يوحي بفكرة الاستمرارية وصولا إلى نوع راقي من البشر مستقبلا أفضل من هذا الإنسان، وأقرب إلى الكمال وهو ما يسميه بالسوبرمان وهو مختلف عن الإنسان العادي ليس في السعادة فحسب، بل انه يتميز بالقوة عنه، فعلى البشر أن يتصفوا بالقوة والصلابة والقسوة

[1] : فتحي المسكيني: **إنزياحات الهوية الحديثة أو تأويلية الإنسان الأخير**، (المركز الثقافي العربي، ط2، 2015) ،ص15

ويغضوا كل أنواع الضعف والقناعة والتسامح والتواضع والمساواة ..... فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي بإمكانه حذف نفسه من هذا الوجود في حال إذا لم يحالفه النجاح وهو ما فعل هذا إلا رحمة بالإنسانية ورأفة بها[1].

يقر نيتشه أخيرا رفضه للأخلاق الكانطية التي تبقي الإنسان في دائرة منغلقة، لان كانط تطرق إلى سؤال ما هو الإنسان؟ فالواجب الأخلاقي الكانطي هو من اجل نفسه، لكن نيتشه يتطلع إلى أكثر من ذلك، معتقدا أن النظرية الدروينية سوف توصله إلى حلمه الأخير، وهو السوبرمان الذي يتميز عن الإنسان الحالي بالقوة والشجاعة.

[1] : فريدريك نيتشه : **الفجر** ، تر محمد ناجي (الدار البيضاء، 2013)، ص31

المبحث الثاني: الإنسان جزء من الطبيعة

أنكر نيتشه كل ما كان قبل التاريخ، وتجلى ذلك في تفسيره لجميع الظواهر بشكل واضح كإرادة القوة والغريزة والجسد وقد أسس ذلك انطلاقا من علاقة الإنسان بالطبيعة باسم شعار "الحياة ثمرة الحياة" والذي يتمثل في كل ما تقدمه الطبيعة للإنسان على مر الزمان، فهو ابنها الكريم ولما كان الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة أي المادة، وليس هناك فارق بينه وبين الكائنات الحية الأخرى، ولا يمتلك أية صفة تتجاوز به عالم الطبيعة، يحصل على الاكتفاء بذاته، وليس بحاجة إلى جلب أي شيء من عالم أخر، لأن الطبيعة من جهة لم تقدم للإنسان أية وسيلة من وسائل الدفاع كما هو الحال عند الحيوانات المفترسة ومشابه ذلك من فكوك ومخالب، ومن جهة أخرى قساوة العوامل الطبيعية في حد ذاتها، ما دفع الإنسان بالتفكير الذي غاب عنه فترة ماضية من الزمن، والذي كان نتيجة خلق التشابك بين بني البشر، فالصراع الأول كان بين الأقوياء والضعفاء، ومهمة الإنسان في هذه الحالة هو المحافظة على البقاء فحسب، ثم تلاه صراع السادة والعبيد متجسدا في الهيمنة على الأرض، فالمجتمع الطبيعي الأول هو مجتمع وحشي وغاية الإنسان فيه هو جمع الضرورة الطبيعية من غذاء وملبس ومأوى، يمارس فيه الإنسان مبدأ إشباع الرغبات، كذلك الصراع بين الخير والشر، فيما قد شكل التقسيم الطبيعي النيتشوي تصورا لوضع الرجل والمرأة أساس الصراع بين الأجناس على أنه قانون الطبيعة فالحالة الطبيعية هنا مقتصرة على الحرب

حتما كنموذج للمحارب من جهة، ومن جهة أخرى تتمثل أسلحة المرأة في الفتنة والإغراء والسحر والتنكر[1].

مبينا من وراء ذلك الحالة الطبيعية الأولى التي أوجدت الإنسان وكيفية عيشته في ذلك الوقت كما أن السبب الرئيسي هو النزاع الذي قام بين الأجناس بغية الحفاظ على البقاء والاستمرارية مع ذكر أنواع الأسلحة المستخدمة آنذاك والتي ساهمت في المحافظة عليه.

وهي في نفس الوقت أسلحة طبيعية، فالطبيعة حددت للمرأة قدرها الأنثوي، وهي تستمد من ضعفها قوة تواجه بها الرجل، فالمرأة مبدعة في هذا المجال حينما يتعلق الأمر بالضعف، فهن يدافعن عن أنفسهن بما عرف بقانون الغاب، وعبر نيتشه عن هذه التغيرات التي يواجهها الكائن البشري من رجل وامرأة والتي تحكم العلاقة بينهما، إذ يرى أن الإرادة هي قانون الرجل أما القبول فهو قانون النساء غير أنه قانون قاسي على النساء، وأن عشق المرأة كراهية للطبيعة نتيجة الوظائف المقززة التي تخضع لها كل امرأة وكأن الطبيعة تقوم بنهب وسلب كل ما يملكه الرجال بشراسة وعدوانية، وأن الرجل الذي يحب مثل المرأة يعد عبدا في نظره، بينما المرأة التي تحب مثل المرأة تصب أكثر كمالا، فدور المرأة يقتصر على الجوانب الجنسية، التي هي من صنع الطبيعة، ولهذا كانت مهمتها تنحصر في الإستسلام والإنقياد والطاعة والخضوع للرجل، كما أن علاقتها به مجرد وسيلة للإنجاب فقط، وكحل لهذه المشكلة يقرر نيتشه "الحمل للنساء"، بالإضافة إلى أن الحقد والانتقام هما من الصفات

[1] : د عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة** ،مرجع سابق، ص 182

الأساسية التي تلازم في طبيعتها، والخاضعة لإرادة سيدها، فسعادة الرجل متوقفة على إرادته، بينما تتوقف سعادة المرأة على إرادة الرجل، وأن حركة تحرير المرأة في عصره ما هي إلا علامات للتدهور والانحطاط، لذلك نسب إلى الرجال القيم العليا، أما النساء فهم يحملن الصفات الأدنى، والمتمثلة في أخلاق العبيد، أما النموذج الأمثل فيه الجنس البشري هو الإنسان الأعلى.[1]

ونخلص من كل ذلك إلى أن نيتشه لا يسمح بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، لأن الرجل في نظره رمز القوة والشجاعة خاصة في الحروب، بينما تعد المرأة نقطة ضعف في ذلك، ولا دور لها سوى وظائف البيت وتربية الأطفال، لذا نراه يبعدها كل البعد عن نشاط الرجل وفي نفس الوقت يقر بأنها الأقرب إلى الطبيعة منه، انطلاقا من وظائفها البيولوجية والمتمثلة في الحقد والانتقام، لهذا لم يدعو نيتشه إلى تحررها فمثلها مثل العبيد، ممجدا الإنسان الأعلى الذي يندرج من الصنف الذكوري وهذا سبب كاف لإنكاره دور المرأة.

شكل الجسد الجزء الأكبر في الفلسفة النيتشوية سعى من خلالها إلى إعادة تقييم الحضارة الأوروبية الحديثة وصياغة فلسفة جديدة للجسد تعبيرا عن التجربة الحية وعن الصيرورة الدائمة وعن التعددية والواقع،وعلى أن المرأة تخضع لإرادة القوة الطبيعية،أما الرجل بفضل إرادة القوة يتمكن من السيطرة على الطبيعة ولا يخضع لها.

[1] : د عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة** ،المرجع السابق، ص 183

لكن نيتشه رأى بإعادة النظر في العلاقة بين النساء والرجال "فكل ما يريده زراداتش" من المرأة هو نفس الشيء الذي يريده من الرجل وهو تمهيد الطريق للإنسان الأعلى لمستقبل الإنسانية فهدف زرداتش يقتصر على إبداع إنسانية جديدة ومستقبل جديد لسوبرمان ولابد من المرأة أن تلعب دورا مناظرا له وان تكون طاقة متدفقة حاملة بالمستقبل،فهو يريد منها إنجاب طفل وإبداع إرادة بداخله "ليتوهج الكوكب النسيء في حبك أيتها المرأة".

ثم نجد ذلك وبشكل تدريجي بدأت الثقافات والحضارات بالظهور أي ما عرف بالاستقرار وذلك لتطوير الطبيعة في الإنسان،لأن يتفوق الإنسان فكلاهما محل للأخر والإنسان يبدع في الطبيعة من أجل تطوير ذاته والارتقاء بها،وعليه لا يمكن فصل العلاقة بين الإنسان والطبيعة،فالخواص الطبيعية هي نفسها الخواص البشرية[1].

ينظر نيتشه إلى الإنسان على أنه هو الوحيد والقادر على بناء حضارته وتحقيق التطور والاستقرار، وهذا تطلب منه فحص دقيق في تركيب الإنسان وإعادته ممهدا الطريق لظهور الإنسان الأعلى، لأن تطور الطبيعة مقتصر على تطور الإنسان في حد ذاته، ما أدى إلى خلق انسجام بينهما، فكل ما يتميز به لإنسان هو خاضع للطبيعة التي هي المنبع الأول لنشأته.

يرد الإنسان إلى النظام الطبيعي المادي، وهو موجود في كليته داخل النظام الطبيعي المادي ويرجع كل شيء إلى الطبيعة، وليس لديه هدف مستقل عنها، ولا إرادة خارجة عن

[1] : د عبد الحليم عطية : **جذور ما بعد الحداثة**، المرجع السابق ، ص 184

القانون الطبيعي وهو ما يدل على أن الإنسان مركز هذا الكون، إذ قام نيتشه بتفكيك الإنسان وإعادة تركيبته حتى يتسق مع منطق المادة والأشياء في الطبيعة، ولذا أطلق عليه تسمية العقل المادي وهو العقل اللامحدود مثله مثل الطبيعة، فالعقل المادي وحده قادر على رصد الواقع وإعادة صياغة الإنسان في بيئة مادية واجتماعية بما يتفق مع القوانين الطبيعية التي أدركها الإنسان أثناء محاولة فهم ودراسة الطبيعة.[1]

يجد الإنسان فكره في العقل، والذي يثور ضد فرضية من أصل حيواني، واضعا هوة كبيرة بين الإنسان والطبيعة، مستندا في حكمه إلى العقل الذي هو حديث نسبي في عهود طويلة ما قبل التاريخ، افترض الناس وجوده على اعتبار أنه امتياز يحظى به الإنسان، فيما كانوا يعتقدون انه روحي ككل الغرائز والمكر والميول، فلم يخجل الناس كونهم انحدروا من الحيوانات والأشجار وكانوا يرو أن العقل هو الشيء الذي يربطنا بالطبيعة ولا يفصلنا عنها[2].

يمكن ظهور منظومات أخلاقية تتجاوز حركة المادة والإنسان هو جزء من هذه الحركة وخاضع لها.

مستخدما قوانين الطبيعة في تفسير حركة الانسان، فلقد ارتبط الانسان عند نيتشه بالطبيعة ولم ينفصل عنها أو يتجاوزها، باعتباره جزء لا يتجزأ من تلك الطبيعة، أو أنه بإمكانه تلبية

[1] : المسيري عبد الوهاب: **العالم من منظور غربي** ، (بيروت ، دار المشرق ، 2001) ، ص45

[2] : فريدريك نيتشه : **الفجر**، مصدر سابق ص 21

حاجياته خارجها، وع ذلك يشر نيتشه إلى ظهور منظومة أخلاقية متعالية عن ذلك لأن السوبرمان لا يخضع للطبيعة ولا تربطه صلة بها بأي شكل من الأشكال.[1]

يؤكد نيتشه على علاقة الإنسان بالطبيعة وينكر أي انفصال عنها أو تجاوز لها، إذ لا يمكن لأي شيء أن يتحقق خارجها، مبينا أن الإنسان أساس هذا الوجود لذا سعى جاهدا في ربط مكونات هذا الإنسان بالمكونات المادية للطبيعة انطلاقا من العقل المستخدم في فهم و إدراك حقائق الأشياء.

إن السمة الأساسية عند فريدريك نيتشه هو تصاعد معدلات الكمون المركز في المادة إلى أن يختفي تماما، وهذه المعادلة توحي باختفاء المسافة بين الخالق ومخلوقاته، وبين الإنسان والطبيعة فيما أعلن نيتشه ظهور عالم يتسم بالسيولة مخالفا بذلك المفهوم الوجودي الثابت لكل الفلسفات الغربية الدينية واللادينية، وبهذا أرجع الكون إلى مبدأ سماه الحياة متفقا في ذلك مع شبنهاور وغيره من فلاسفة العصر، لكنه خالفهم في ذلك بان الكائنات تتولد إلى البقاء وأن الحياة هي إرادة الحياة ذلك أن التكاثر أساس بقاء هذه الكائنات، فالوجود فعلا هو الحياة، وان الإنسان يفسر الكون على أية طريقة يشاء، فالمعنى هنا مرتبط بالنتيجة، والنتيجة مرتبطة بالفعل، ما يشكل سلسلة عضوية متكاملة لا يمكن الفصل في حلقاتها.

لأن هذه الطبيعة كانت قد غرست في الكائنات الحية بما في ذلك الإنسان مبدأ إشباع الغرائز وإرضاء الميول والدوافع كما يغرس النبات في الأرض، وعرف النقاوة والأساليب

[1] : الجندي محمد علي: الفلسفة في الفكر الإسلامي، (لبنان بيروت، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1،2012)، ص 58

المفضلة والأكثر جدية، فالإنسان ينزع بطبعه إلى المعرفة والفضول والعدالة التي هي وسيلة للغرائز الإنسانية المتكاملة ولولاها لا أصيبت هذه الغرائز بالتذمر، فما يتميز به الإنسان تشد شروط حياته الطبيعية وتساهم في تحقيق حياة قوية وفاضلة بالخضوع إلى قوانين الطبيعة التي هي قيمة بذاتها.

فحسب نيتشه لابد للمرء أن يعرف نفسه ولا يخرج عن وعيه،فهو الذي خلق هذه المثل العليا من أجل تأكيد ذاته وإثبات وجودها وإذا أدركنا أن قوانين الطبيعة هي من علمتنا أن الحياة أكثر صحة وأفضل من السعي نحو المثل التي يدعي أنها لم تنطبق مع الواقع الفعلي.[1]

يسعى نيتشه إلى خلق عالم جديد مغاير عن العالم الذي اقره الفلاسفة خاضعا لقوانين الطبيعة التي تمكن الإنسان من المحافظة على بقاءه، حيث أن هذه الأخيرة هي من علمت الإنسان كيفية الوصول إلى مبتغاه الأعلى.

يعلن نيتشه أن زارادتش هو الفرد الكلي الاستقلال مع جوهر هدفه الشخصي، قاصدا بذلك الإنسان الأعلى الذي هو نقيض الإنسان الحالي، لذا اعتقد أن الحياة وهبت له لخدمة مصالحه لا علاقة له بها، فزارادينش يعلم الإنسان الأعلى وهو بذلك يعلم الإنسان كيف يسير حياته بحسب قوانين الطبيعة، وبالتالي فهو يعلم الناس النظر إلى فضائلهم كما في مخلوقاتهم، وكل هذا ما هو إلا لتحرير نفسه.[2]

[1] : الجندي محمد علي: **المعهد العالمي للفكر الإسلامي**، مرجع سابق ص 59

[2] : رودولف شتاينر: **نيتشه مكافحا ضد عصره** ، تر حسن صقر، (سوريا دمشق ، دار الحصاد، ط1998،1) ص153

تلك الأخلاقيات الدينية التي نفت القيم الطبيعية على اعتبار أنها مصدرا حقيقيا للمطلقية، والأساس الراسخ لكل الأخلاق، وإعادة تقويم القيم بإرجاعها إلى أصلها الطبيعي المادي، رافضا أي إثبات أو مطلقية، وأي وجود للعالم الخارجي، فالإنسان جسر تخطو عليه الطبيعة من الحيوان إلى السوبرمان.[1]

يعرف الإنسان الأعلى عند نيتشه بأنه الإنسان المكتمل الحرية، والخارج عن سيطرة الطبيعة والمعتقدات الدينية خاصة الأخلاقية حيث أن هذا الأخير هو من يقرر مصيره بنفسه وهو الأساس الذي تبنى عليه الأرض.

[1] : د عطية عبد الحليم: **جذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 184

المبحث الثالث : الإنسان الأكثر أخلاقا

يقول نيتشه « إنني أولي أهمية لهذا المفهوم، فليس هناك كلمة واحدة لم يسبق لزرداتش أن نطق بها منذ خمسة سنوات، لقد كان الكشف متوجها للأخلاق المسيحية حدثا دون مثيل، فهو يشرح تاريخ الإنسانية بشطرين، يعيش الإنسان قبله ويعيش بعده» [1]فنيتشه يعرف الأخلاق على أنها الحساسية المرضية للمنحط مع نية خفية في الانتقام من الحياة، وقد كان نقده موجها للأخلاق المسيحية خاصة، باعتبار أن هذه الأخيرة هي أخلاق الضعفاء ولا تصلح لأن تحقق معنى الحياة على الأرض.

لذلك كانت فلسفة نيتشه هي إحدى المحاولات التي تنشد الإيجابية على سؤال "الخير والشر"، وهي إيجابية مختلفة عن تلك التي قدمها الفلاسفة السابقون، وبالتالي كان هو أول من تجرأ على وصف الأخلاق المسيحية بأنها لا تصلح للضعفاء والعبيد، فكان شعوره بأنه جاء من اجل مهمة مقدسة مضمونها تخليص البشرية مما بدا له أنه أوهام تتظللها.

بثت الأخلاق المسيحية الرعب والخوف في قلوب الأفراد والجماعات إلى حد يصعب معه مخالفة أي رأي لتعاليم الرب الإله، فأصبح الناس غير قادرين على مواصلة حياتهم دون الإستاد إلى سلطة عليا تبارك أعمالهم وتغفر لهم ذنوبهم، وهكذا التزم الناس بالصمت وعدم التعبير عما يجول في أذهانهم من أفكار وما ترغب به نفوسهم، فالأخلاق في نظر الكنيسة

---

[1] : فريدريك نيتشه : **هذا هو الإنسان** ، تر علي مصباح (منشورات الجبل)، ص 162

* **الجينيالوجيا** وهي البديل الذي يقدمه نيتشه عن الميتافيزيقا وهو إضافة صبغة علمية، كما استبدلت الميتافيزيقا الكانطية بنقد العقل الخالص، ذلك أن الفلسفة بإمكانها أن تتصف بصفات العلم.

تتبع مما يتصف به الرب من فضائل وما يتجلى به من صفات مقدسة تعلو العالم البشري، ومن هذا يتضح أن للإله قيمة أسمى للدين.[1]

رفض نيتشه الأخلاق المسيحية رفضا مطلقا، واصفا إياها بأنها غير صالحة لأن تكون مقياسا تقوم عليه الحياة الأخلاقية، حيث خضع لها الإنسان الأوروبي سنوات طويلة معتقد أنها سوف تحقق له معنى الحياة، لذا كانت مهمة نيتشه هي انقاض هذا الإنسان والخروج به إلى عالم أفضل.

انطلاقا من جينيالوجيا* الأخلاق كمنطلق جديد لنقد كل القيم، ففي حقيقة الأمر هذا الإشكال لازمه طوال حياته وتزامن مع مراحل دراسته الأولى، من خلال سؤاله ما هو الأصل الذي ينبغي أن نغزو إليه في نهاية الأمر؟، ما لدينا من أفكار حول الخير والشر؟ و لذي فهو طور من مشكلة الخير والشر وجعلهما إحدى مهمات الجينيالوجي، في أية شروط عمد الإنسان إلى اختراع مقياس الخير والشر بغية استعمالهما في حياته؟ وما هي قيمة هذين المقياسين بحد ذاتهما ؟ وقد اعتبر ببساطة أن جينيالوجيا الأخلاق هي كل فعل تنجزه الفلسفة من أجل كشف النقاب عن الأوهام والخرافات والأحكام المسبقة، التي نشأت حولها القيم، لذا ركز نيتشه على منهج دقيق سماه بالجينيالوجيا لكل من أراد معالجة موضوع الأخلاق، باعتبارها مسألة خلقية بحاجة إلى إعادة فهم وتنقيب حول القيم الأخلاقية، وعليه قام بهدم

[1] :فريدريك نيتشه: **أصل الأخلاق وفصلها**، تر حسن قبيسي، (بيروت لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1971)، ص 19

جينيالوجي لتاريخ الأخلاق، وطرح جملة من الأسئلة فيما يخص وظيفتها ومصدرها وقيمتها متسائلا عن منبع هاته القيم، فيما إذا كانت تمكن من تحديد مصيره بنفسه في هذا الكون.[1]

تناقض الجينيالوجيا تفكير الفلاسفة بدلا من الصعود إلى المثل العليا، كما هو الحال عند أفلاطون إلى النزول بالقيم إلى أصلها، وفي هذا الأصل يعيد نيتشه الحياة إلى مجراها الطبيعي الأول لتخليص العالم من الهموم التي وضعها الفلاسفة القدامى فيه.[2]

تعد جينيالوجيا الأخلاق البديل الذي يقدمه نيتشه للميتافيزيقا فمن خلال رحلة بحثه عن الخير والشر وعلاقتهما ببعضهما وبالإنسان، لذا رأى أن في المسألة الخلقية العديد من الأوهام والخرافات التي استدعت منه إعادة ضبطها من جديد، واضعا لها أسس جديدة تقوم عليها.

يتألف هذا المنهج الجينيالوجي بحسب نيتشه من ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى: وصف الأحكام والعادات والقيم الصادرة عن الماضي، عن مختلف الشعوب ومن هذا يتضح لنا تاريخ عام للقيم، وهو ثابت بالنسبة لنيتشه .

الخطوة الثانية: أن المنهج الجينيالوجي يخبرنا بصعود مباشرة نحو نقطة الانطلاق، أن وراء الأشياء والقيم شيئا «آخر سواها».

[1] : فريدريك نيتشه: **قراءة في جينيالوجيا الأخلاق**، ترعبد المنعم شيخة (الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015) ص 11

[2] : مفرح جمال: **الإرادة والتأويل** (بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ط1، 2009)، ص 96

الخطوة الثالثة : أن الجينيالوجيا لا تكفي ببيان القوى التي تقف وراء الظاهرة، بل تخطو خطوة إلى الأمام.[1]

دعا نيتشه إلى إعادة تقييم كل الأحكام الأخلاقية بإرجاعها إلى منبتها الطبيعي الأول وأصولها الجينيالوجية، ذلك أن هذه الأخيرة تعني الاستخدام الفلسفي العام أي محاولة تتبع أصول موضوع من المواضيع أو فكرة من الأفكار، والسعي إلى انجاز تاريخي مسترسل حول نشأة هذا الموضوع وتطوره، ولذلك شمل منهجه الحفر على كل المفاهيم الأساسية والمعتقدات والتأويلات والكون، والغرض من هذا الحفر يكون مبررا بغاية تضفى معقولية ومشروعية على هذا الموضوع المطروح.

والمنهج النقدي الجديد لنيتشه يقوم على بناء فلسفة نقدية جديدة بهدف إعادة النظر في جميع القيم السائدة في الثقافة الغربية الحديثة،والبحث عن نشأة الأخلاق والقيم الأخلاقية مثل الخير والشر والسعادة، ونشأتها من قبل الإنسان وما يمكن أن تحققه هذه القيم في حقيقتها.[2]

نلاحظ بأن نيتشه أثناء محاولته تجديد القيم و إعادة تركيبها عن طريق الرجوع بها إلى منبتها الأول لإدراك السبب الرئيسي في ضعفها، الذي قام ببناء فلسفة جديدة تبحث في مسألة الخير والشر، ومدى إمكانية ما تقدمه هاته القيم للإنسان بمعنى النتائج التي تترتب عليها.

[1] : مفرح جمال: **الإرادة والتأويل** ، المرجع السابق، ص 100

[2] : د عطية عبد الحليم: **جذور ما بعد الحداثة**: مرجع سابق، ص 303

لم تكن جينيالوجيا الأخلاق النيتشوية لعبة التأويلات وأنها تخفي ورائها إرادة القوة التي تفرضها، فليس العالم الذي نعيشه بمختلف جوانبه الأساسية و الاجتماعية والثقافية والاقتصادية إضافة إلى ذلك الأحلام والأوهام والتناقضات، إلا نتيجة لهذه التأويلات المتراكمة عبر العصور وهكذا فإن العمل الجينيالوجي قائم في مصدره على الحفر في مصدر الأخلاق، والقيم التي جردت الإنسان من إنسانيته، خصوصا الفكر الأوروبي المسيحي، وهمشت إحساسه وقتلت جسده، ومن ثمة الجينيالوجيا نقدا أو لا تكون، كمحاولة منها كشف الأقنعة، والبحث في الطبقات الدلالية المستغنى عنها.[1]

يؤكد نيتشه أثناء دراسته لجينيالوجيا الأخلاق أثار سؤال حول قيمة القيم، وهو سؤال لم يتم طرحه في الميتافيزيقا سابقا، وسعى إلى رفع شأن الأخلاق والخروج بها من دائرة الشك والنقد وهو ما جعلها تعلو على التاريخ البشري المحكوم عليه بالعوامل الموضوعية، فالجينيالوجيا نقد وبفضلها أعاد نيتشه قراءة التاريخ بأسلوب جديد ومغاير لما كان عليه خاصة فيما يخص تاريخ الأخلاق، وعليه فجينالوجيا نيتشه مشروع متأسس على نقد القيم الأخلاقية وجعلها موضع سؤال فلسفي عميق ذا أهمية كبرى، مقتحما بذلك القيم المقدسة، وإعادة النظر فيها وتقويمها والتخلص من الأوثان التي تم صنعها من طرف الأجيال

[1] : د عطية عبد الحليم: **نيتشه وجذور الحداثة** ، مرجع سابق ، ص 303

الإنسانية في مجال الدين، ويدعو التحرر من قيود القيم المزيفة،لأنها لا تخدم مصلحة فئة معينة فحسب،وتستخدم الدين بهدف مكاسب سياسية أو كسب مواقع اجتماعية مميزة.[1]

تمكن نيتشه أخيرا من تحديد الأسباب التي دفعت بهذه القيم إلى الانهيار ونقدها ورفع من شأنها في سبيل تحقيق الحياة مع نفي المعتقدات الدينية ذات مصلحة معينة.

انطوى هذا المشروع الأخلاقي العميق على تجربة فكرية عميقة لفهم أخلاق العدمية، بغية تجاوزها واعتبارها أكبر حدث عرفه العالم الغربي الحديث، ومحاولة فهم الأخلاق العدمية تجسد في "أفول المتعالي وخسوف المعاني الكبرى المقدسة"، وهو الذي أدرك هذه الأزمة قبل حلولها، فأقول أفول المتعالي لا يعني التعبير عن موقف إلحادي لأنه بهذا المعنى النيتشوي لا يعبر عن الوضع السلبي والذي يتمثل في عدم الاعتقاد في الإله المسيحي، كما أنه ليس عرض من أعراض الاختلال العقلي لنيتشه أيضا، بل الصيغة التي تخلص تاريخ الغرب، ولهذا يمكن اختزاله في " أفول المتعالي اللاهوت"، وهو صبغة شاملة هدفها تدمير كل الأوهام والقيم العليا للثقافة الغربية التقليدية والحديثة، كما تعني نبذ الميتافيزيقا وكشف الأقنعة عن العمق الأخلاقي للغرب الحديث وإرادة تجاوز الذات والتعالي عنها.[2]

يشكل موضوع الأخلاق والتقويم جوهر الإنسان وماهيته الحقيقية، فهو الكائن الذي يقوم الأشياء ويصدر أحكامه عليها، وقد صرح نيتشه أن زراداتيش لم يكشف إلا شيئا واحدا ذا

[1] : بلعقروز عبد الرزاق: **نيتشه ومهمة الفلسفة** ، (لبنان، دار العربية للعلوم، ط1، 2010)، ص 19

[2] : فريدريك نيتشه : **من أصل الأخلاق وفصلها** ، مصدر سابق ، ص51

أهمية كبرى خلال رحالاته هو أن اكبر قوة على الأرض هي الخير والشر، فهو يرفض أن يعيش الشعب من غير قيمة ينتجها، ونظرا لهذه الأهمية القصوى لمسألة الأخلاق، جعل من نيتشه يراجع كل المنظومات والمذاهب الإكسيولوجية عبر التاريخ بدأ من السعادة مرورا بأخلاق اللذة والمنفعة وصولا إلى أخلاق الواجب.[1]

يشير نيتشه إلى الأخلاق العدمية التي أحدثت أزمة في العالم الغربي وبالتالي قام بهدم كلي وشامل لهذه المعتقدات، لأنها هي من يحدد قيمة الإنسان، خاصة قيمة الخير والشر.

وإرجاع القيم إلى الإنسان عنده لا يعني ميوله لنزعة ذاتية أو صوفية،وإنما هو أمر واقع ودعوة صريحة، على الإنسان أن يمارس فعاليته في مجال واسع كما أنه بوسع الإنسان ان يؤثر عليه، وما دفع بالإنسان إلى إضفاء تلك القيم هو تلك القوة أي الحياة لأن كل تقويم إنساني يستهدف الحياة.

استشهد نيتشه بشواهد قريبة في معناها إلى الأنثربولوجيا الاجتماعية، فهو يتخذ طابع العلمية في إرجاع ربط القيم السائدة بالظروف التي تسودها، وقد نلتمس من جهة أن نيتشه ينسب القيم إلى أساس بيولوجي، وهذه هي إحدى النقط التي تصنفه ضمن المذاهب الأخلاقية ومن جهة أخرى فيما يخص التفسيرات العضوية لما هو رفيع ووضيع في الإنسان، فنجده ينادي بناء قيم على أسس نفسية للفرد مكون من إرادته مصدرا خالقا لكل المعايير فما كان يرمي إليه هو إحداث انقلاب شامل للقيم وهو قيام ثورة عقلية وعلمية، لان القول بنسبية

[1] : عنيات عبد الكريم : **نيتشه والإغريق إشكالية أصل الفلسفة** ، (ط1، 2010) ، ص 170

القيم يتيح لنا المجال لإعادة تغيرها وهو ما تنافى مع استحالة هذا الأمر، لأن المعقولية تؤدي إلى خلق قيم لا أساس لها بالواقع، وبالتالي تكون قريبة من الزهد الديني وقد لوحظ هذا في الفلسفة الأفلاطونية، أثناء إرتباط القيم العليا والمجردة عن أية عالم محسوس، أما فيما يخص أخلاق النزعة الدينية الزاهدة فهي مرتبطة بعالم الأشياء في ذاتها، ما أدى إلى تظافر الفلسفة مع الدين، وهذا في نظر نيتشه يعد إقتلاع الحياة من جذورها، فتحل إماتة الحياة محل إرادة الحياة، وهذا هو الإنزياح عن التقويم الراسخ والسائد للسلوك الإنساني، فالتقويم يجرد الإنسان من كل معانيه، وكل ما يحبب إلى قلبه الحياة، فاللاأخلاقية هي ثورة على الأوضاع النمطية من أخلاق سائدة في عصره، كما أنه يجب علينا أن نتذكر أنه أي إنتقاد للحياة يتجسد في مواضع ضعف تخللت ذلك العصر.[1]

يوضح نيتشه أن الحياة هي من يتحكم في وضع كل القيم بما في ذلك القيم الأخلاقية والعقلية مستهدفا بذلك الحياة وما ورائها.

تتضح فكرة الشفقة في الفلسفة المسيحية والدينية بوجه عام، أنها شعور نبيل يحتل مكانة متميزة في صدورنا، لكن المهم في الأمر هو هل هذا الشعور أخلاقي نبيل بحق؟ إنه في واقع الأمر أنانية، فنحن نشفق على الآخرين ليس حبا فيهم،وإنما خوف من أن نقع في نفس الحدث مثلهم،ولقد أخذ على عاتقه هذه الفكرة وكشف عن حقيقتها .

[1] : فؤاد زكريا : **نوابغ الفكر الغربي**، (مصر ، دار المعارف ، ط2) ، ص144

وقد رفض نيتشه أخلاق السادة والعبيد بوصفها لا تصلح لانتقال الإنسان نحو المثل السليمة فهو يرى بأننا نعيش في مرحلة من مراحل التدهور الأخلاقي، إذ عرف عنده باسم أخلاق العبيد وفي حال تقابلها مع أخلاق السادة يناصر نيتشه الأخلاق السليمة والمنحلة، فأخلاق الأقوياء تتميز بالقوة والوفرة، ومقياس الفعل الأخلاقي هنا يرتكز أساسا على شعور المرء بالقوة في ذاته وفي حال إذ صدر الخير فإنه يصدر عن إحساس قوي وقوة فياضة، لا عن خوف وإكراه أو ضغط وضعف وبالتالي تسود أخلاق الأقوياء وتتحكم بشريعتهم.[1]

إذ تتضمن أخلاق العبيد المصلحة والمنفعة وهذا ما يولد تناقض بين قيمتي الخير والشر، فالشر يضم الحظر والقدرة والقوة والتي لا تسمح بإثارة الاحتقار،إضافة إلى ذالك يثير هذا الشرير الخوف أما أخلاق السادة فيثير الطيب الخوف بفضل قوته. في حين أن الإنسان السيئ يعد على انه حقير وهكذا يرتفع التناقص حتى يبلغ أوجه حين تنتهي أخلاق العبيد،ولقد صادف هذا الاختلاف نيتشه إثناء تجواله بين القيم الأخلاقية العديدة حتى أدرك وجود نمطين أصليين بينهما فارق كبير،وهو ان هناك أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد ، وبالنظر إلى الحضارات الراقية والهجينة.[2]

إذ نستنتج بأن هناك خلط وسوء تفاهم بينهما، إلى درجة حدث فيها تجاوز كلا منهما للآخر، وقد شمل هذا الإنسان أيضا خالقا فرق في القيم الأخلاقية في حد ذاتها.

[1] : فؤاد زكريا : **نوابغ الفكر الغربي**، المرجع السابق ، ص 92

[2] : فريدريك نيتشه : **ما وراء الخير والشر** ، (دار الفارابي) ، ص 247

يقول نيتشه «إن الخير الأعظم يكمن في الشر الأعظم لكنه قصر السوبرمان على السادة دون العبيد »[1]، في ما وراء الخير والشر مر الإنسان بمرحلتين أثناء بلوغه الحقيقة، فالمرحلة الأولى تمثلت فيما قبل الأخلاق، والمرحلة الثانية هي مرحلة الأخلاق في حد ذاتها، وهي مرحلة صار من خلالها يتدبر في النوايا والبواعث وهذا ما أقرته الأخلاق الكانطية، أما فيما يخص المرحلة الثالثة فوجب النظر فيما وراء الخير والشر، كما وجب علينا أن نفهم أن أعمالنا منبعثة من خلال لا وعي وأن ندرك جيدا منبع هذه الأخلاق ونتصرف وفقا لإرادة القوة، وقد أشار إلى "شجرة أنساب الأخلاق" كما هو الحال عند الديكارتية فمن خلال فحص الاختلاف بوجه عام تبين بأن ليس هناك مطلقية للخير ولا للشر أيضا، وإنما هي مسألة نسبية من وجهة انطلاقتهما، واعتقد أنه على الأخلاق الارتباط بإرادة القوة وهي الحقيقة على وجه الأرض، فأصبحت الأخلاق متماشية مع إرادة القوة، وتولدت بذلك قيم النبلاء التي نادت بالقوة والسيادة هي خير وما عاداها هو الشر، وأن الأخلاق اليهودية والمسيحية هي أخلاق الضعفاء والجبناء لذلك هاجم المسيحية والأديان التي حاولت وضعه ضمن منظومتها الأخلاقية.

لأن الخير والشر هما القيمتان اللذان بإمكانهما أن يتضمنا محتويات متباينة،قد تكون مخالفة لمحتويات في نمط أخلاقي آخر، ودعوة نيتشه ليست لتجاوز الخير أو الشر وإنما اعتزلهما

[1] : مجدي كامل **:فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر** ، مرجع سابق ، ص 161

كليا والاستقلال عنهما ومن ذلك الاستقلال عن الأخلاق عموما،لا أخلاق معينة وهي دعوة إلى الانتهاء من نسب الأمور إلى قيمتي الخير والشر.[1]

يدعو نيتشه إلى إبعاد قيمتي الخير والشر وفصلهما تماما عن الأخلاق وهكذا حتى تصبح الأمور تتصف بالنسبية، وفي مقابل هذا يضع العلم كبديل تستند إليه كافة الأمور.

وإذا كان قول المفسرون لنظرية التطور الإنسان الأرقى لنيتشه تعينهم على رأيهم كقولهم « إن كل كائن قد خلق من قبل شيئا يعلو عليه إنكم قد سلكتم الطريق من الدودة إلى الإنسان»، يرد على ذلك نيتشه قائلا: «لكن مزال فيكم من الدودة الكثير، لقد كنتم في وقت ما قرودا، ومازال الإنسان إلى اليوم قردا أكثر من القرد[2]»، وهو بهذه العبارة يمهد الطريق إلى ظهور الإنسان الأرقى، يختلف عن مجرد التقدم التطوري، لأن التطور لا يقول أبدا أن الإنسان لا يزال إلى اليوم قردا أكثر من القرد، وأن فيه من الدودة الكثير، وما كان يعنيه نيتشه بوصف الإنسان حيوان سواءا كان قردا أو دودة أو غير ذلك، هو "النزوع إلى الثبات"، فهو يستند الخضوع إلى الحياة الحيوانية على أساس الثبات والسير على وتيرة واحدة، ولا يفهم الإنسان الأرقى إلا في مبدأ الحدود الذي تمت إليه الإشارة مسبقا، وهو النهوض بالحياة، فالإنسان الأرقى هو تجسد للمثل الأخلاقي الأعلى لدى نيتشه، وهو ليس إنسان

[1] : مجدي كامل **:فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر** ، مرجع سابق ، ص 163

[2] : **مجدي كامل:** فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، **مرجع سابق، ص 303**

طيب يخضع لقيم أخلاقية معترف بها، أو أنه يحاول تحقيق مبدأ الخير وتجنب الشر، بل إنه يسعى إلى المزيد من الحيوية في كل شيء.[1]

ويعني بذلك أن الإنسان لا يختلف عن الحيوان إلا في فكرة الإنسان الأرقى الذي يدعوا إلى التحرر من كل شيء خصوصا في المجال الأخلاقي، والانتقال من الإنسان الحالي إلى السوبرمان خالق القيم الجديدة، فالسوبرمان النيتشوي يتميز بالثبات وهو مصدر كل هذه القيم، إذ لا يخضع لأي سلطة تحكم عليه أو يقيم أفعالهم من خلالها، لأنه هو من يضع هذه القيم ويشرعها، وذلك عن طريق التحرر من كل موروث آملا منه إضفاء تطورات مستقبلية جديدة، لذا وضعه نيتشه موضع الإله القديم.

[1] : **مجدي كامل:** فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، **مرجع سابق ص 306**

الفصل الثالث

الأفاق المستقبلية للإنسان

المبحث الأول: موت الإله

كانت بداية ذلك عن حديث زراداتيش بعد عشر سنوات من الحكمة في عزلته ووحدته تامة مخاطبا قرص الشمس «أيها النجم هل لو لم يكن لك من تنيرهم أكانت لك كل هذه السعادة [1]؟» وهنا أجريت مقارنة من طرف زراداتيش بين الشمس وبين ذلك النجم ذا الدفء والنور،وبعد انحداره نحو الأفول قرر زراداتيش النزول بهدف تعليم البشر حكمته، وقد ذكر أنه وهو في طريقه إلى ذلك قابل "ناسكا" منعزلا فتعرف إليه، وكان هذا الأخير قد لمح زراداتيش أثناء صعوده منذ العشر سنوات فدار بينهما حوار اتضح من خلاله أن الناسك يكره البشر ويجد من الإنسان كائن ناقص ومعيب في نفس الوقت، ولكنه يحب الله، على العكس من زراداتيش الذي يحب الإنسان، وقد كان هذا الناسك حذر زراداتيش من تعليم حكمته البشر على غرار النساك انه مشكوك في أمرهم على أنهم لصوص ومحتالين، ثم بعد ذلك يسأل هذا الناسك زراداتيش على أن يطلعه عما هو معه، لكن زراداتيش رفض ذلك،

[1] : عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق ، ص 272

وقال له ما لذي أستطيع أن أقدمه لك ؟ طالبا منه أن يدعه وشأنه ليمضي في طريقه ليتم مهمته التي جاء من أجلها، وأنه ليس بحاجة إليه، وبعد أن مضى زراداتيش في طريقه دار سؤال ما بداخله ألم يعلم هذا الناسك في عزلته أن الإله قد مات ! فالمراد من الجبل هو الصعود إلى مكان مرتفع من الأرض وهو مكان مفارق، بينما العزلة هي مكان تواجد الحكمة والرفض لكل ما هو سائد ومتأصل، أما النجم فهو الحكيم الذي يضع قيما جديدة للبشر وهو الشمس التي معطاء بلا حدود، وهو الناسك هو رجل الدين.[1]

يوجه نيتشه كلامه إلى الجمهور المسيحي لأن مفهوم الله صار قديما ولابد من البحث عن بديل له إذ رأى نيتشه بأن الإنسان الأوروبي بحاجة إلى إيمان وإله جديد، بغية التحرر من المعتقدات القديمة، التي رسخ الإنسان تحت سيطرتها فترة من الزمن.

لقوله « لقد مات الإله ونحن الذي قتلناه[2]»، فهو يتكلم على إله المسيحية طبعا، وعن المسيح فمن المعروف أن المسيح قد صلب، والبشر هم الذين قتلوه، وهو بذلك يقصد إله الأناجيل الأربعة، وفي نظره أنه لا أحد من هذه الأناجيل يستحق الاحترام، فالضعفاء لا يستحقوا أن نحترمهم، فنيتشه يمجد القوة، وهو شديد التأثر بشوبنهاور فيلسوف التشاؤم،ولكن ليس التشاؤم السيكولوجي وإنما التشاؤم الميتافيزيقي، وهذا كاف لكي لا يؤمن بإله متجسد ويصلب،فهو لا يؤمن بإله الضعفاء،كما لا يؤمن بأن لله ماهية، لذا طعن في المسيحية طعنتين اثنتين، فمن جهة أن المسيحية تنتج قيم فاسدة، ومن جهة أخرى عجز المسيحية

[1] : عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق ، ص 275

[2] : روي جاكسون: **نيتشه و الإسلام** ، تر حمود ، (بيروت لبنان ، مؤمنون بلا حدود، ط1، 2015)، ص 18

على تقديم نظرة جديدة ومؤكدة للحياة وأن الرب التراثي التقليدي لم يعد نافعا، ولم يكن مهتما بالرب فيما إذا كان موجودا أم لا؟وإنما ارتكز همه الوحيد في كيفية التخلص منه ؟، بحيث كان عمله يدفعه إلى خلق برنامج ستريولوجي وهو تأكيد الحياة بطريقة للتخلص، وتغير كل ما كان يصفه بالمرض، السبب الرئيسي الذي جعله يستخدم التصوير والأفكار المسيحية حتى لو كان ذلك على حساب موت الرب، هو أن هذا الأخير لا يعني موت اللاهوت المسيحي ككل، بل هو خلق بدايات جديدة، لأن موت الرب يجعل الخلاص ممكننا.[1]

فنلاحظ بأنه يمجد القوة وهو شديد التأثر بها، ويرفض كل ما يدعو إلى الضعف بما في ذلك الإله المسيحي المصلوب تكفيرا عن خطايا أبناء جيله، داعيا إلى إله جديد، ولن يحدث ذلك إلا عن طريق التخلص من الإله القديم، في سبيل تحقيق كل ما هو جديد.

لذا فهو يقول« إننا نجحد الإله، ننكر مسؤولية الإله،بهذا فقط ننقذ العالم[2] » ومن أجل هذا ارتبط بالتصور المسيحي.

فلم يعد لأي أحد ان تلقى عليه المسؤولية، كما ان نوعية الوجود لا يمكن إرجاعها إلى علة أولى، ولا يمكن للكون أيضا أن يمثل وحدة سواء أكان ذلك في الصيغة الحسية أو الصيغة العقلية، وهذا هو التحرر الكبير، و به تتم الصيرورة من جديد وفكرة الله إلى حد الآن تمثل العائق والحاجز الأكبر في هذا الوجود، ولهذا أنفينا مسؤولية الله لتخليص العالم.[3]

[1] : روي جاكسون: **نيتشه و الإسلام** ، المرجع السابق، ص20

[2] : فريديريك نيتشه: **أفول الأصنام**، تر حسان بورقية ومحمد ناجي، (إفريقيا الشرق، ط 1، 1996)، ص 56

[3] : فريديريك نيتشه: **غسق الأوثان**، تر علي مصباح، (بيروت لبنان، منشورات الجمل، ط1)، ص 210

وهو ما ميزه عن سابقيه، في أنه قابل هذه العدمية الكامنة في موقفه المادي، مختلفة تماما عن الغاية المتفائلة الهيومانية، التي عرفها الإنسان الغربي منذ عصر النهضة، وذلك عندما قتل « الإله أو نحاه جانبا »، وقد تم إعلانه أنه في مركز الكون وأنه بالإمكان إعادة صياغة وتسخير هذا الكون، دون قيود أو حواجز تحد من فعل ذلك، وبدا متفائلا تفاؤلا شديدا لا تعيقه أية شوائب من صفوه، فلقد مات الإله في قلوب الناس جميعا، و من قتله هو العلم والعقلانية.[1]

لم يكتفي نيتشه بتكرار قول الذين سبقوه فحسب ان الله غير موجود وإنما تجسد هذا الإعلان النيتشوي في صلاحية هذه الفكرة في واقعها قد انتهت، فإذا كان إنسان العالم القديم قد أرجع العالم إلى منظور سحري أسطوري، كما في القوى الطبيعية الخارقة، والفيلسوف القديم أيضا قد أرجع عامل الكثرة

إلى الوحدة بواسطة ذهنونية مثالية فإن إنسان العالم الحديث من خلال حياته نظر العالم وفهمه انطلاقا من السبب والنتيجة بمعنى الجوهر، وهو ليس بحاجة إلى فكرة الله مطلقا، كما أن الفيلسوف لم يعد مضطرا إلى إرجاع عامل الكثرة للوحدة، فندرك أن هناك هوة بين العالم من جهة ومن جهة أخرى تمثيلاته الذهنونية، (مقولات العقل المجرد)، فينتهي وهم العوالم الماورائية أي ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا.[2]

[1] : عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص 177

[2] : مجدي كامل : **نيتشه شيطان** الفلسفة ، ص 277- 278

فقد خلق موت الإله نوع من السعادة وغمر الأجواء بالفرح والسرور لدى زراداتيش، وبالتالي إلغاء الآخرة والتخلص من الحساب وهذا هو هم نيتشه الوحيد في كيفية الخلاص فيما إذا كان ممكنا أم لا، كما خلق موت الإله قيم جديدة ونتج عنه الإنسان الأعلى وهذا هو الفرق بين ما هو جديد وما هو قديم.

ومن جهة أخرى يفسر موت الله على أنه موت الآخرة من الثقافة الغربية الأوروبية بإلغاء الإيمان من عالمنا إلى عالم آخر، إذ لابد من وجود مفارق لهذا العالم، وهذه هي الازدواجية الجوهرية في هذه الثقافة.[1]

ينفي نيتشه وجود الإله من مسؤولية هذا العالم لضمان استمراريته على الدوام، وتخليصه من العقاب فموت الإله هنا يعني التخلي عن الإيمان الموروث قديما عن طريق العلم والعقل، والبحث عن إيمان جديد.

فهذه الثقافة من منظور نيتشوي سلبية بالكامل ومعارضة للعدمية وهذا العالم لا يساوي شيء في نظره، فهو ضرب من الوهم والخيال، وكل ما هو بشري فيه،ملطخ بالخطيئة، وأن ما لدى اليسوع هو مبرر للحزن، أما زراداتيش فهو يحمل قدرا من السعادة على حد قوله "أحب بني البشر"، والذي يزيد من فرحته وسروره انطلاقا من موت الإله، وهو دمار نمط من التفكير السلبي وقدوم نمط جديد مثبت، فزراداتيش ليس مسرورا لأن الله مات، بل إن الله مات لأن زراداتيش مسرور، وهذا الفرح وهذا التفكير المثبت ينتج عنه موت الله .لان إلغاء الآخرة أجمل

[1] : بيارهيير سوفرين: **زراتش نيتشه**، تر أسامة الحاج (بيروت لبنان،المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، 2002)، ص51

شيء في نضره ، يتم فيه تحرير الإنسان المستعبد وفقا لهذه الآخرة "أنا أحمل هدية لبني البشر"، وما يدل على أن زراداتيش يتصف بالغناء قوله لست فقيرا كفاية، ولا يقتصر الأمر هنا على إعادة الإنسان ما فقد منه، بل فتح باب جديد من التحول، ناتج عن موت الإله، وهو تعليق للقيم الأخلاقية في موضع جديد، إلا وهو الإنسان ذاته فازراداتيش أزاح حملا الذي هو الإله ويحمل على كاهله عبئا آخر وهو الإنسان الأسمى.[1]

إذ يلاحظ بأن هناك تناقض لدى نيتشه بين ما هو قديم وما هو حديث، والإعلان عن مجيء عصر جديد ينفي الميتافيزيقا القديمة، بما في ذلك التراث المسيحي الأفلاطوني، وبالتالي تتحقق فكرة العدمية بتجاوز الإنسان الحالي، ويظهر السوبرمان الذي هو الهدف المنشود للأرض.

تضمن موت الإله أربعة معان بحسب نيتشه :

المعنى الأول لموت الإله : ويعني نهاية كل مثالية تتخذ صورة عالم آخر خلف الإنسان وهيئة تعالي الموضوع .

المعنى الثاني: المحافظة على الطابع البطولي في الوجود الإنساني حتى بعد موت الإله وإرجاع للحياة كل ما كان متعالي عنها،

المعنى الثالث: موت الإله يعني التخلص والتحرر نهائيا من كل ما هو موروث ، وتمثل ذلك في الرمز الرقص والطيران والضحك فالإله الذي يمكن لزراداتش أن يؤمن به هو الإله الذي

[1] : بيارهيير سوفرين: **زراتش نيتشه** ، المرجع السابق ، ص 55

بإمكانه أن يرقص، فاستخدام الرقص دلالة على العلو في فكرة موت الإله ، كما يمثل دليلا على تحرر الحرية الإنسانية .

المعنى الرابع: موت الإله تجلى في المجنون الذي كان يبحث عن الإله (أين الإله؟)، (إنني أبحث عن الإله)، أنا سأجيبكم عن ذلك "لقد قتلناه، أنتم وأنا جميعنا قتلناه، لكن كيف فعلنا هذا؟ كيف استطعنا أن نعب البحر ؟ ماذا فعلنا لكي نفصل هذه الأرض عن شمسها ؟ وإلى أين نتحرك بعيدا عن كل الشموس؟ مات الإله ونحن الذي قتلناه فكيف نعزي أنفسنا ونحن أعتى القتلة ؟ فالمجنون هو نيتشه نفسه،والسوق كان رمزا عن المعاصرين الذين عاصروه، فالإله قد مات.[1]

أيضا (أفول المتعالي خسوف المعاني الكبرى المقدسة)، تعود إلى الأزمة التي أدركها نيتشه قبل مجيئها، لأول مرة تمثلت في قول الرجل الأخرق (أفول المتعالي) وهو يقصد من ذلك أين الإله؟، فالإيمان بالله المسيحي فقد معقوليته، في البداية نشر أول ضلالة على أوروبا، وهو حدث قريب العهد لأن الله القديم كان قد مات ولابد من مجيء فجر جديد يضيء القلوب وينيرها.لأن "أفول الأصنام" كمفهوم إلهي يظهر كأكبر اعتراض أستخدم في هذه الحياة وهذا الوجود، وفي مخاصمته للمسيح عن طريق فكرة الإله أيضا خلقت حربا بين الحياةوإرادة الحياة، وهي كم من تشوهات العالم، والافتراء عليه[2].

[1] : د صفاء عبد السلام: **قراءة نيتشه** ، ص 302

[2] : فريدريك نيتشه : **العلم والجدل** ، تر سعاد حرب (دار المنتخب العربي، 2001) ، ص 118

يعني موت الإله هنا نهاية لكل شيء موروث، باستخدام زراداتش لمجموعة من المعاني الدالة على ذلك والتي ترمز إلى الحرية فموت الإله يعني نهاية الأفكار و المعتقدات المسيحية القديمة ولم تعد موجودة أساسا.

تضمنت فكرة موت الإله نوعين من التاريخ، تاريخ انقضى والآخر لا يزال في طريقه والإنسان الحديث يمثل حركة نهاية لحركة أخلاقية وروحية يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، ولابد للتاريخ أن يتوقف عن مسيره وتنتهي بذلك الأخلاق والانطولوجيا، فان هذا هو الشاهد والدليل على موت الإله فموته نقد للقيم التي اعتبرت يوما ما قيما عليا، وهو بذلك يتحدى كل عدمي، فمن وجهة نظر ياسبرز اندرجت فكرة موت الإله النيتشوي تحت عنوان إعادة تقويم القيم، ومن ذلك اتجه تفكيره نحو تحرير الإنسان من الإيمان، وهذا هو الوجود الحقيقي لديه، لكن نيتشه يعتبر موت الإله رمزا وحادثة مخيفة لكنها ضرورية في الآن ذاته، وصولا إلى أعلى مستوى من الإنسانية بالإمكان تحقيقه، وهو مبدأ أساسي تدور في فلكه المبادئ الأخرى، ذلك الإساءة إلى العالم عن طريق الإيمان هو إساءة للحياة الواقعية أيضا، ما أدى إلى النفور إلى هذا العالم ومن مشاق هذه الحياة، فالإله هو أعظم خطر نواجهه، إذا فلا مانع من موته، ومن فرطه في حب الإله وصل به ذلك إلى أقصى درجة من الإلحاد، جعله يهاجم الله، وقد وصف إله اليهود بأنه إله ضعيف ومنحط، أيضا اتسع نطاقه في المسيحية، في زمن مضى لم يكن الإله يمتلك غير شعبه "شعبه المختار"، وفي المقابل يطالب نيتشه بإله شرير وعنيف وماكر ومدمر، لأن الانسان في أمس الحاجة إلى إله

صالح، فلا فائدة من وجود إله لا يعرف الغضب والإنتقام والحقد والسخرية والمكر...إلخ والايمان بوجود الإله يعد احتقارا للحياة وهروب الإنسان من مسؤولية واقع الحياة.[1]

أدى هذا إلى انقلاب جذري في الأصول المسيحية عموما، والإله المسيحي على وجه الخصوص وانهيار الأخلاق المسيحية أيضا وهذا يوحي بأن نيتشه يعلن عن مجيء فجر جديد ينير القلوب ويتجاوز تفسير الظواهر استنادا إلى ما وراء الطبيعة.

تجلى هذا في صورة واضحة، هاجم فيها الصليب وأشمئز من طريق موته في تكفيره عن الخطايا فلقد تشبع من الإله اليوناني ديونسيوس"إله الحضارة اليونانية" إلى درجة اعتبر نفسه فيها انه هو الإله الجبار ديونسيوس، لذا ركز في دراسته الأولى على الفيلولوجيا اليونانية القديمة، وتأثر بالألم الذي هو أول مظاهر الإله ديونسيوس، فهو لم يكن يشعر بالسعادة مطلقا إلا بعد الألم الكبير، وقد كان تمني إلى كل من يهمه أمره من أصدقائه وأقربائه أن يعيشوا متألمين، فالروح اليونانية مأساة وصراع لا ينتهي مع الطبيعة، لذلك كان ميله إلى فيلسوف التشاؤم شبنها ور، لكنه ليس التشاؤم الذي هو من المنظور السيكولوجي إنه من الناحية الميتافيزيقية، وكذلك فاجنر الذي هو ابن الإله ديونسيوس ولذا أحبه بعمق كبير، حتى أنه كان يرسل رسائل إلى أصدقائه، ذات توقع ديونسيوس، فتارة يعتبر نفسه أنه مصلوب، وتارة أخرى عدوا للمسيح وهكذا تحت عنوان "كونوا سعداء.[2]

[1] : عبد الحليم عطية: **جذور ما بعد الحداثة** ، ص 381

[2] : فريدريك نيتشه : **رحلة إلى قلب الإلحاد** ، تر إيمان كنيستنا، ج1، (الإسكندرية، خاتم الشهداء،) ن ص 155

وكما ذكرنا سابقا انه نتج عن كرهه وحقده للإله المسيحي انه قام بمناصرة الإله اليوناني متأثر بهذا الأخير كثيرا، خاصة في أن السعادة عنده تتحقق من جراء الألم والمعاناة، وكان الأثر واضح على حياة نيتشه الخاصة، بعد أن أدركه هذا أثناء مرحلة جنونه فكان يعتبر نفسه أحيانا انه الإله ديونسيوس نفسه، وأحيانا أخرى المسيح المصلوب، حيث تبين من كل هذا أن نيتشه هاجم الإله بل وقتله أيضا من أجل تحرير الإنسان، مادام هذا الإله يقف عائقا في مسار تقدمه، مقتصرا نقده على الإله المسيحي الذي يتميز بالضعف والانحطاط وتخليص الإنسان من مسؤولية هذه الحياة.

لقوله « لقد تنكرت بهذا الزي، ولكنني أنا الله[1]» فكان يفتخر كثيرا بموت الله خصوصا أنه هو من قتله، آملا بذلك أن نكون نحن الآلهة من بعده، كذلك دل موت الإله من ناحية أخرى انه بمثابة الشفقة على الأشرار، فهو لا يريد ملكوت للسماء، ويرفضه رفضا قاطعا، بل يريد ملكوت للأرض باعتبارنا نحن البشر.

وهذا ما حير المفسرين في العبارة التي أطلقها نيتشه في عنان "ان الله قد مات "، فيما إذا كان موجودا من قبل وانتهى الآن؟ أم ان الناس فقدوا شعورهم به كإله؟ أم انه صلب شفقة و رحمة بالأشرار؟ فمن وجهة نظر رمسيس عوض هو ان الله موجود إلا ان المسيحية كانت قد أساءت فهم ذلك، فموت الله كان يعني رفض المفاهيم الخاطئة، التي كان الإنسان الأوروبي واقعا تحت وطأتها ومن وجهة نظر جون بول سارتر ان الله غير موجود وعلى

[1] : فريدريك نيتشه : **رحلة إلى قلب الإلحاد** ، المرجع السابق ، ص 159

البشر ان يعتمدوا على أنفسهم ويواجهوا وحدتهم في هذا الكون العميق، وقد ذكر ان نيتشه على فراش الموت قد أوصى أخته بأن لا يجول حول جثته إلا من كان صديقا له، وان تمنع بقية العامة وكل من أراد الاطلاع والمعرفة عليه، طالبا منها ألا يسمح لقسيس أو غيره، من ان يتلو عليه التفاهات بالجنب من قبره، لأنه في حالة لا تسمح له من الدفاع عن نفسه رغبة منه في أن يموت وثنيا، ذلك أن المسيحية كانت قد دمرت كل القيم ولم يعد هناك شيء يذكر، سوى التطفل والبؤس ولهذا أطلق عليها تسمية "مأوى المجانين الكاثوليكي"[1]، واتصف المسيح بالقسوة حتى على نفسه ومع الآخرين، فالمسيحي بغيض، وهو ضد التحرر وهذا ما جعل نيتشه ينتقد الدين المسيحي بالكامل، يقول بأن الإسلام محق ولديه ألف الحق في نبذه، لأنه دين ضعيف قتل الإنسان الأوروبي وجعله يستسلم لكل شيء، وبما أن الدين الإسلامي دين الرجولة والشهامة ودين العلو الأخلاقي والتربية في الوصول إلى إنسان كامل وعن شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فإن نيتشه متأثر بهذا الأخير وراغبا في الوصول إليه عن طريق خلق الرجل الكامل ذا القوة والرجولة وهو السوبرمان .[2]

انطلق نيتشه من منطلق عدو العدو صديق، فهو ليس مسلما، بل وثني لكن كرهه للمسيحية وحقده عنها جعله يقف إلى جانبه في رفضه للمسيحية، وبما أن الدين الإسلامي يمجد القوة في الأخلاق والتربية، فإن هذه الأخيرة كانت حلم نيتشه من قبل.

[1] : فريدريك نيتشه : **رحلة إلى قلب الإلحاد** ، المرجع السابق ، ص 159

[2] : : فريدريك نيتشه : **رحلة إلى قلب الإلحاد** ، المرجع السابق ،ص 160

المبحث الثاني: الإنسان الأعلى سوبرمان

"لقد ماتت جميع الآلهة ونريد الآن أن يعيش السوبرمان الإنسان الأعلى[1]"، فمن خلال رحلته في البحث عن إله جديد أمضى بقية حياته يبحث عنه، حيث اعتقد بأنه وجده في السوبرمان "الإنسان الأعلى" وصرح بأنه لم يجد صعوبة في أن يحل هذا الإله الجديد محل الإله القديم، فكان يمتاز بسهولة خداع نفسه كمن يغامر بكل شيء من اجل لا شيء، فلقد وجد في زراداتيش معلما جديدا، وإلها جديدا وهو السوبرمان، كما عثر على دين جديد وهو التكرار الأبدي وقد اعتقد بأنه اتقى من لا يعتقدون في الله، وأعلن عن اسم الإله الجديد.[2]

وقد تشبع هتلر بفكر نيتشه، والذي ارتكزت فيه كل اهتماماته وكتاباته في مقولة "لقد مات الله"، والإشارة بفكرة السوبرمان واقتنع به، فراح يشغل العالم من خلال كتابه "الحرب العالمية الثانية" وهو غارق في أحلام العظمة و السوبرمان، وأكد للجميع أن فلسفة نيتشه التي تدعو إلى القسوة والعنف هي وراء النازية، وكما قال هتلر أنه ضد المسيحية، واصفا إياها بأنها الطفل الغير شرعي للبلشفية، وكلاهما من اختراع اليهود.[3]

---

[1] : ول ديورانت:**قصة الفلسفة من أفلاطون حتى جون ديوي**، ترد فتح الله محمد المشعشع(بيروت،مكتبة المعارف،ط 6،1988)، ص507

[2] : ول ديورانت:**قصة الفلسفة من أفلاطون حتى جون ديوي**،المرجع السابق، ص 512

[3] : مارتن لوثر: **عن اليهود وأكاذيبهم**: تر د محمود النيجري(مكتبة النافذة، ط1، 2007) ص، 23

سينتج عن الإنسان ما يفوق ويسمو عليه (إنني أعلمكم الإنسان الأعلى)، فعظمة الإنسان هو أنه جسر لا هدف، يعني بذلك انه طريق أو معبر للوصول إلى هذا الإنسان المتفوق، وبهذا فالإنسانية ناقصة مادام ينقصها الهدف، وبالتالي فهدف الإنسانية هو الإنسان الأعلى، وليس الجنس البشري بأسره[1]

وهنا انتقل نيتشه إلى مرحلة جديدة بعد موت الإله، وهو إحلال السوبرمان محله من غير شك في ذلك، ومجيء إله جديد يعني أن هناك إيمان جديد أيضا.

يفكر نيتشه في نوع جديد من الإنسان، وهو الإنسان الأعلى المتفوق الذي يمتاز بالقوة والشجاعة وذلك بفضل تربيته القوية، لا بفضل الانتخاب الطبيعي، مما يعني أن التربية هي أول مراتب الإنسانية، فاخلق الإنسان المتفوق لا بد من التربية والأخلاق، إذن لا أمل في أن تختار الطبيعة الإنسان الأعلى، وإنما يتم اختياره عن طريق وسائل تحسين النسل والتعليم الذي يرفع من قيمة الرجال، وللحصول على ذلك لا بد من مدرسة عنيفة وقاسية للأخذ بيد التلاميذ نحو الكمال وتدربهم على تحمل المسؤولية من غير راحة، ذلك أن لذة السعادة بحسب نيتشه تأتي عن طريق الآلام والمعاناة، وبالتالي يرتفع الإنسان فوق الخير والشر، بحيث يكون شجاعا لا صالحا ولا خيرا وانطلاقا من ذلك عاش زراداتيش مغامرا محبا للرحلات البعيدة والخطيرة رافضا العيش بعيدا عنها[2] منشدا " أنتم يا من تعيشون وحدكم اليوم

[1] : ول ديورانت : **قصة الفلسفة من أفلاطون حتى جون ديوي**، مرجع سابق، ص 508

[2] : ول ديورانت: **قصة الفلسفة من أفلاطون حتى جون ديوي**، المرجع السابق، ص 525

وتقفون جانبا، ستصبحون شعبا في يوم من الأيام، ومنكم يا من اخترتم أنفسكم سينهض شعب مختار يخرج منه الإنسان الأعلى".[1]

فمفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه قد ارتبط بمفهومين أساسيين أولهما "العود الأبدي" وثانيهما "موت الإله" ذلك أن تثبيت العود الأبدي يتم عن طريق الإنسان الأعلى من خلال مروره على تجربة هذا العود معتمدا على وجوده الداخلي الخاص، وهذا الأخير لا يمكن أن يحصل له إلا بموت الإله ". [2]

كان الإنسان الحالي الأثر الكبير الواضح في ظهور هذا النوع الجديد والمتمثل في السوبرمان، لا الطبيعة كما فعلت سابقا مع الإنسان العادي، وتطلب هذا الشجاعة والصبر وتحمل المشاق والمعاناة بغية الوصول إلى الكمال.

حيث أن هذا السوبرمان هو غاية هذه البشرية وهو بمثابة الإله ما دام انه هو الخالق، وهو عند نيتشه بلوغ أعلى مرحلة من الإنسانية ومرحلة تجاوز للإنسان الحالي، الذي طالما تشاءم منه، معتبرا أن هذا السوبرمان هو الأمنية العظمى، فهذا يعني أنه أصبح حرا، ويمارس هذه الحرية على العالم، وأصبح ذا منعطف ضروري، ذلك أنه تم إزالة الفارق بين الإرادة والضرورة، كما تمت الإشارة مسبقا، بالإضافة إلى إرادة الحرية التي تحل محل عود الشبيه الذي يمثل القلب النابض لزراداتيش، وهو الفكرة الرئيسية التي تدور حولها أفكاره،

[1] : المرجع نفسه، ص528

[2] :محمد علي الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، (بيروت، لبنان، مركز الدراسات الوحدة، ط1،1998) ص 431

ويليه الإنسان الأعلى وإرادة القوة، ولن يتحقق ذلك إلا بموت الإله وتحطيم التراث الأوروبي، والمثل الأفلاطونية ويتنحى أيضا الحاجز بين الضرورة والحرية جانبا.

يتشابه فيه الإنسان الأعلى والإله، فإذا كان الإنسان خالقا فلا مانع من أن ندعوه إله، ويتصف بصفة الأبدية ويلقى الزمان تماما، لأنه يكون على دراية عميقة بالزمان، تمكنه من تجاوز كل ما يرغب به، وبعدها لن يستطيع أي شيء أن يحول بينه وبين ما هو ميتافيزيقي تقليدي خاصة التراث الأفلاطوني، والفضل يعود في ذلك إلى العود الأبدي الذي مكنه من كشف أسرار هذا الزمان والمكان.[1]

فمجيء السوبرمان خبر سار للعالم وحلم لنيتشه وقد تحقق، وبالتالي شملت الحرية جميع المجالات عن طريق التخلص من كل ما كان يقف حاجزا أمام ذلك، كما لم يعد للإنسان الحالي أي وجود ولا للموروث القديم أيضا.

فلم يفند نيتشه الميتافيزيقا أو قام برفضها جملة باسم حقيقة مضادة، وهو هنا لا يعارض وإنما يفارق ويخالف، وباختصار هو يريد أن يحرر السلب من كل لحظة تركيب، ويذهب إلى ابعد من ذلك، فالجينيالوجيا هي محاولة لتجاوز هذه الميتافيزيقا أي هي خطوة الرجوع إلى الوراء، ومحاولة لاسترجاع كل ما كان مخفي وغامض من خلف كل انكشاف.[2]

فيحدث انفتاح العالم، وتبلغ الحياة عظمتها، وتحتل مكانة راقية، فالإنسان الأعلى هو من يدرك كل هذا على شكل صورة لانهائية أي اكتساب الأبدية عن طريق عود الشبيه، كما

[1] : محمد علي الجابري : **قضايا في الفكر المعاصر**، المرجع السابق ، ص 431

[2] :عبد السلام بنعبد العالي: **أسس الفكر الفلسفي المعاصر**، (المغرب، دار بوتقال ، ط1، 1991)، ص 38

يمكن أيضا اعتبار فكرة العود الأبدي هي الإنسان الأعلى لأنها تثبت هذا الإنسان وتغرس فيه حب الحياة وتقوى فيه.[1]

وذهب ياسبرز إلى وجود علاقة وثيقة بين فكرة العود الأبدي والإنسان الأعلى عند نيتشه عن طريق فكرة "الإستيلاد" الخاصة بالإنسان الأعلى، بحيث يمكن استعباد الضعفاء والمنهمكين من فكرة العود الأبدي.[2]

ويتجسد الإنسان الأعلى في نظر نيتشه المثل الأعلى الأخلاقي فهو يثور على الأخلاق السائدة، بما في ذلك الشفقة والرحمة والصبر والتواضع، وذلك لتحقيق معنى إرادة الحياة، لتحقيق التطور والتقدم نحو مستقبل أفضل وأصلح، وفي ذلك ينخرط نيتشه في الدروانية من أجل البقاء الطبيعي.[3]

حلت الجينيالوجيا محل الميتافيزيقا القديمة، لكن نيتشه هنا لا يرفض هذه الأخيرة جملة وتفصيلا بل يوضح كيف ساهمت الجينيالوجيا في إزاحة الغموض عن كل ما كان مبهم، وأي تجديد في شيء يتطلب الرجوع والبحث في الأصول الأولى لانطلاقته.

فالأسس العلمية التي تعتمد عليها فكرة العود الأبدي والقول بأن مدى هذه القوة الكونية منتهية ومحدودة، فهذا يعني أن مواقع هذه الأخيرة وتركيباتها محدودة بدوره، لأن فكرة

[1] :محمد علي الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر** ، مرجع سابق، ص431

[2] : د صفاء عبد السلام: **قراءة نيتشه** مرجع سابق ، ص 43

[3] : محمد علي الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر** ، المرجع السابق،432

استمرار التحول عنده في حد ذاتها تنطوي على تناقض مادامت تحوي على وجود قوة تتزايد إلى مالا نهاية، فمن أين يحدث لها هذا التزايد؟.

وبما أن نيتشه كان قد وضع لهذه الفكرة قواعد علمية ترتكز عليها، إلا أن هذه القواعد هي بمثابة منطلقات عقلانية هادفة إلى الكشف عن نتائج المذهب الآلي، الذي يعد آلة عمياء للعالم، أي أنها تمر بنفس الحالات مرات لا متناهية، أي هي في حركة مستمرة ودائمة، لكن بدلا من أن تؤدي هذه الآلة وظيفتها بشكل دوري منظم، اكتفت بالعودة الدائمة إلى نفس الحالات التي كانت قد مرت عليها من قبل دون جديد أو تغير في ذلك فإذا تحقق الشرط العلمي الأول لفكرة العود الأبدي والقائل بأن هناك قوى كونية متناهية فإن الشرط الثاني هو أن يكون الزمان لا متناهيا.[1]

ويفسر نيتشه انطلاقا من عملية الإستيلاد أن كل مرحلة من المراحل التي تمر بها الإنسانية تتميز بخصائص معينة أما فيما يخص المسألة الإنسانية وصولا إلى الإنسان الأعلى، آملا في أن يكون هو الكوكب المتألق في هذه الظهيرة.[2]

لقد اقترح نيتشه فكرة العود الأبدي محاولة منه لضمان الصيرورة و إدخال عليها صبغة علمية، متأثرا بالنظرية الدروينية في التطور وصولا إلى الإنسان المتفوق.

لقد سعى نيتشه بكل شعور إلى خلق مثل هذه الصورة للإنسان وربطها بفكرة نخبة أوروبية جديدة، ولقد سمى هذه الصورة لأحلامه اللاهية "الإنسان المتفوق"، ونرى أن "شيلر"

[1] : باسمة كيال: **أصل الإنسان وسر الوجود** (بيروت ، مكتبة الهلال ، ط2، 1922) ،ص 118

[2] : فريدريك نيتشه : **إنساني مفرط في إنسانيته**.، تر محمد الناجي ،(بيروت لبنان، إفريقيا الشرق، ج1، 2002)، ص 33

يشارك في فكرة "صورة" الإنسان هذه، لكن يرفض بصورة جازمة "قاطعة" الاقتصار على عبارة الإنسان المتفوق بدعوة أن هذه العبارة ملوثة بالفاشيتين الألمانية والإيطالية، فضلا عن عيوب أخرى وهو يسمي مثله الأعلى "الإنسان العمومي"، مبينا بصورة جلية أنه لا يضعه في معارضة "الجماهير والديمقراطية" ذلك أن جميع البشر المتفوقين منهم والمنحطين وفق المثل الأعلى، بحيث يصبو بشرا، حول الإنسان والعلاقات الإنسانية من حيث المصالحة بين أنماط الفكر والميادين الثقافية، وبين الفوارق القومية والنزاعات العرفية، وبين أوروبا وآسيا، الأغنياء والفقراء، الرأسمالية والاشتراكية.[1]

فالإنسان الأعلى يحتاج إلى رفض أخلاق القطيع، وينظر إلى ما وراء الأفكار التقليدية من الخير والشر متطلعا إلى شيء أبعد أي شيء خلاق من الناحية الفردية، ويمكن أكثر أنه ما يعرف بإرادة القوة، لكن بالرغم من نظرة نيتشه في الإنسان الأعلى ليس هناك ما يؤكد على وجود علاقة بالطبيعة أو بالخصائص الطبيعية، فهي بالتأكيد مرتبطة بنوع من الجنس ومن هنا نلاحظ أن نيتشه ومن غير شك يفرق بين الرجل والمرأة، وهو يعطي كامل الحق للرجل ويوقع اللوم على المرأة، وأن تشابه الناس في تصرفاتهم لم يعد بحاجة إليه في المستقبل الإنساني .[2]

[1] : ستيباي اوديف : **على دروب زرداتش**، تر فؤاد أيوب (بيروت، درا دمشق ط 1 1983)، ص 127

[2] :ديف روبنسون وجودي جروفز :**أقدم لك الفلسفة**، تر إمام عبد الفتاح إمام،(مصر،المجلس الأعلى للثقافة،2001)، ص89

يتميز السوبرمان بالشجاعة والقوة وهذا أمر كاف لأن يتحكم في مصيره ويقرره بنفسه، فبعد موت الإله لم تعد هناك قوة تحكمه سوى حكمه هو وتجلى ذلك بصورة واضحة في تمييزه بين المرأة والرجل، لأن هذا الأخير من صنف السوبرمان.

ففكرة التكامل للإنسان على الأرض ليست من إبداع نيتشه، فالتكامل مبدأ دعت إليه الأديان السماوية، أساسا لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لان الدين أراد بالإنسان تكاملا روحيا يهيئه إلى إدراك باريئيته وراء المحسوس في حين أن نيتشه، قد أنكر ما لا تقع الحواس عليه وأراد ان يلفت انتباه الإنسان من إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنة خلد يستوي عليها بجبروته إلها، وقد حكم هذا الفيلسوف على جميع المخلوقات في سلسلة الوجود لا تملك الاعتناق من حدود أنواعها، ومهما مرت القرون وتعاقبت الأجيال، لا للنبات أن يختار مملكة الحيوان، ولا للحيوان ان يختار مملكة الإنسان، لذلك هذا الفيلسوف يطالب بإنسان يتفوق على الإنسانية وكأنه يريد القول بأنه يمكن ان يصبح الشجر حيوان، والحيوان إنسانا، فالإنسان المتفوق كان ضد البشر جميعا ، وقد خطب في ذلك زرداتش موضحا حقده للبشر تحت رقة الأسلوب وبراعة التعبير.[1]

إذ يرى هيدغر أن نيتشه انتهى بنوع من العدمية الذاتية وانه متهم بإضفاء صورة إنسانية عن العالم ومن ثم فإن مفهوم الأبدية والزمان بأسره عنده ليس موضوعيا ولا انطولوجيا

[1] : ستيباي اوديف **على دروب زراداتش**، المرجع السابق، ص 98

بالمعنى الذي فهمه وبالرغم من ان هدف نيتشه واضح حول الإنسان في إبعاده عن الميتافيزيقا، وفصله عنها.[1]

ونتوصل بفضل ذلك إلى أن نيتشه سعى جاهدا إلى التغلب على العدمية، خاصة عدمية الإنسان الأوروبي القديم، ورسم له مستقبله عن طريق إرادة القوة، التي تعد وسيلة دفاع مادامت الحياة متوقفة عنها، ولا شيء متوقف عنها.

صرح زراداتيش بقوله « إن الحياة الإنسانية مخيفة ولا تزال بغير معنى[2] » ، وبالتالي أصبحت العدمية ميراث الإنسان الحديث، وعذابا للنفس المتوحشة ويأسها فهي قتلت الرب، وظهرت للجميع.

وقد خاطب زراداتيش الإنسان الأرقى، متوجها بخطابه هذا إلى الطبقة التي تنكر الإنسان الراقي، على اعتبار أن جميع الناس متساوون أمام الله، لكنه وفي مقابل ذلك يرى بأنه لا فائدة من كل هذا، لأن الإله قد مات في زمننا"، ولولا اندراجه في لحده لما كنتم أنتم تبعثون في هذا الزمان، تعود الظهيرة إلى ذرى أنوارها، ويصبح الإنسان المتفوق سيدا، فهو ينبأ بالمستقبل الإنساني، ولا بد له أن يلد لأن الإله قد مات.[3]

[1] : صفاء عبد السلام: **قراءة نيتشه** ، مرجع سابق ، ص435

[2] :فريدريك كوبلوس: **تاريخ الفلسفة من فيشته إلى نيتشه**، مرجع سابق ص 515

[3] : فريدريك نيتشه : **هكذا تكلم زرداتش**، مصدر سابق، ص 240

فيما رأى ياسبرز أن هذه الظهيرة الكبرى ومنتصف النهار، هي رمز إلى منتصف الطريق بين الإنسان الحالي والإنسان الأعلى، فمن خلال مواجهة العود الأبدي يتمكن الإنسان من إبداع وتجاوز ذاته، (أي ما فوق ذاته) محاولا تحقيق فكرة الإنسان الأعلى[1]

وانطلاقا من هذا يذكر نيتشه بزوال الخطر الذي يهدد حياة الإنسان وهو الله، ولكن بما أن هذا الأخير قد مات فلا مانع من أن يحل السوبرمان محله ويصبح سيدا للعالم والقوى المتحكمة فيه، وبالتالي فهو ينبئ بمجيء السوبرمان الإنسان الأعلى محددا أين يظهر وزمن ظهوره والمكان والتربة التي سوف يظهر عليها أيضا.

وأعتبره بأنه الدافع والهدف الذي يرمي إليه، وليس البشرية ككل، وإنما غايته هي هذا الإنسان المتفوق، والإنسان الحالي هو الجسر والمعبر الذي يمر عليه، فالسوبرمان هو معنى الأرض وبإرادتنا أن نقول ذلك، لأن الإنسان الحالي ماهو إلا حبل مشدود بين الحيوان والإنسان الأعلى الذي تتوفر فيه الشجاعة الكاملة لتجاوز القيم المسيحية، ذلك أن القيم الجديدة تضفي توجها وهدف للإنسان الأعلى.

وقد أشاد نيتشه إلى الإنسان الأعلى على أنه نابليون أو الإله الأوروبي الذي سوف يظهر على الأرض، فهذا الأخير مثقف وبارع وذا قوة عظيمة لا يرضى بالضعف فهو الإنسان

[1] : د صفاء عبد السلام : **قراءة نيتشه** ، مرجع سابق ، ص 438

الذي يمتلك الحرية التامة، ومؤكدا الحياة والكون وبالاختصار هو المتألم الوحيد والمعذب والمهمل.[1]

ولهذا نادى نيتشه بأعلى صوت « لقد ماتت جميع الآلهة ولم يعد لنا من أمل سوى الإنسان المتفوق، فلتكن هذه إرادتنا عندما تبلغ الشمس الهاجرة[2]» ، فالسوبرمان هو الذي يمثل معنى الأرض الآن، وهو الكائن المتفوق على ذاته والمتعالي عنها، وإذا كان الإله القديم قد مات، فكذلك يجب على الإنسان القديم أن يموت أيضا، ونعلو فوقه، وينتج الإنسان المتفوق، فزراداتيش في صورة رجل في الثلاثين من عمره توجه إلى الجبل بوحدته وعزلته مدة عشر سنوات من غير ملل لجمع الحكمة، وهو ما شابه **أسطورة الكهف الأفلاطوني،** بالنزول إلى عمق الوديان، وهنا يشير نيتشه إلى الأرض التي سوف تنبت هذا الإنسان الأعلى، فوجود الإنسان المتفوق يفترض وجود العود الأبدي، وهو على قدر كاف من الحكمة، بحيث يكفيه هذا العود لكل الموجودات.[3]

ينظر نيتشه إلى السوبرمان نظرة مخالفة تماما عن الإنسان الحالي الذي طالما تشاءم منه، فهو ينظر إلى الإنسان الأعلى على أنه رمزا للقوة ويتجسد في الشخصيات العظيمة كنابليون ومحمد "صلى الله عليه وسلم"، ذلك أن هاجس القوة تملكه، ويبشر نيتشه بظهوره

[1] :فريدريك كوبلوس: **تاريخ الفلسفة من فيشته إلى نيتشه**، مرجع سابق ص 515

[2] : المرجع مفسه، ص 519

[3]: د.صفاء عبد السلام: **قراءة نيتشه**، مرجع سابق، ص 233

الذي طالما انتظره، محددا الهيئة التي سوف يظهر بها، بما في ذلك التربة والبقعة من الأرض التي سوف يظهر فيها، لأنه ليس كأي إنسان.

ليس الإنسان الأعلى مثلا أعلى فحسب، وإنما هو ضرورة ووحدة من تحمل الحقيقة، وتكون بذلك الحياة قابلة للاحتمال، ذلك أن العيش مع الحقيقة أمر مستحيل، فمعنى أن الحياة لا يقع خارجها أو يتجاوزها، وإنما هي هدف لذاتها، بغض النظر عن الظروف الصعبة، فأسمى مرحلة يمكن للفيلسوف الوصول إليها في نظره هي تبني موفق ديونيزوسي وهو حب المصير بفضل فكرة العود الأبدي للشيء نفسه، ورغبة الإخلاص في عقيدة العزم على حب المصير، وتصور الإنسان الأعلى يتماشى تماما مع هذا المبدأ، فإن لوفيت لاحظ بأن نظرية الإنسان الأعلى أساس مبدأ العود الأبدي، حيث أن هذا الإنسان قهر ذاته، وأنه الوحيد القادر على أن يرغب في العود الأبدي لكل ما هو كائن.[1]

غير أنه ليس هو من اكتشف العود الأبدي لأول مرة ليس نيتشه، بل انطلقت الفكرة من عند "هيراقليطس" الذي فسر بأن الزمان دائري يكرر نفسه مرة بعد الأخرى، وبالتالي أدرج نيتشه هذا المبدأ ضمن تعاليمه وأفكاره، وطور من هذه الفكرة واعتبرها أمر ممكن بل مؤكد أيضا، واصفا إياها بأنها قانون الكون، محاولا إثباتها ومركزا في دراسته على الرياضيات والفلك والطبيعة والأحياء من أجل ذلك وبالرغم من فشل هذا البرهان العلمي، إلا أن هذه الأخيرة سيطرت عليه وتملكته بالكامل «كل شيء يمضي، كل شيء يعود، وتدور إلى الأبد

[1] : د صفاء عبد السلام **: قراءة نيتشه**، مرجع سابق ، ص228

عجلة الوجود، كل شيء يموت، كل شيء ينفتح من جديد خالدا ويمضي زمن الوجود»، فالعود الأبدي بالنسبة لنيتشه ليس شيء مفزع، كما أن حب المصير الذي يعبر عن تقبل رعب الحياة أصبح جاهزا للإنسان الأعلى، لكنه يهبه في مواجهة التغير الدائم والموت الذي يقضي على كل شيء.[1]

ونستنتج من كل هذا أن هناك ارتباط وثيق جدا بين الإنسان الأعلى و فكرة العود الأبدي، حيث أن هذه الأخيرة تمكن هذا الإنسان الأعلى من السيطرة على كل الموجودات كما مكنته من التغلب على ذاته أول مرة، أضاف نيتشه إلى فكرة العود الأبدي صيغة علمية بغية إثباتها وبالرغم من فشله في ذلك إلا أن هذا لم يمنعه من الوصول إلى هدفه السوبرمان وتسليمه كل شيء.

وما الإنسان العادي بالنسبة إليه إلا قرد، أو أضحوكة أو موضوع خجل أليم، هكذا يرى نيتشه ونفس الشيء يحدث للإنسان الحالي مقارنة بالإنسان الأعلى، فنيتشه يعلن بأن الإنسان الأعلى هو الذي سوف معنى الأرض.[2]

فالإنسان الأعلى هو الغاية والهدف من الحياة البشرية، والحياة كمختبر تجري فيها التجارب بهدف الوصول إلى الإنسان الأعلى، والصورة التي سوف يظهر عليها شبيهة بنظرية الإنسان الكامل، والتربة التي سيظهر فيها، إذ لا يوجد هناك فرق بيننا وبين نيتشه إلا القليل، فالإنسان الأعلى هو رمز للقوة، وقد لاحظنا ذلك في شخصية الرسول صلى الله عليه

[1] محمد علي الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر** ، المرجع السابق،432

[2] : ديف روبنسون وجودي جروفز: **أقدم لك الفلسفة،** مرجع سابق ، ص 90

وسلم، فنيتشه يرى أن السوبرمان هو ما نبحث عنه وهو موجود، لكن يجب عليه أن يظهر، ولديه شروط وهي إذا توفر أنصاره فلا مانع من وجوده.[1]

ينقص نيتشه من قيمة الإنسان ويهينه، وفي مقابل ذلك الإسلام يمجده ويكرمه، وقد شبهه بالحيوان في حين أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالعقل، ولما كان يرفض المساواة بين بني البشر خصوصا الرجل والمرأة، من خلال تهميشه للمرأة وتفضيل الرجل عليها، كان النبي صلى الله عليه وسلم، يوصي بالنساء خيرا، ثم أن هذا الإنسان الأعلى الذي ينادي به نيتشه لم يظهر بعد ولن يتحقق أبدا، فهو ضرب من الخيال أو الأسطورة، وهو يميزه عن الإنسان العادي بالتسلط والقهر لكن الفرق بين الإنسان والإنسان هو التقوى والعمل الصالح كما أقرت الشريعة الإسلامية.

يقدم نيتشه الإنسان الأعلى كبديل يحل محل الإله، وحيث أن هذا الأخير لم يهتم نيتشه لأمرهوإنما كان يشغله شيء واحد وهو ظهور السوبرمان على وجه الأرض.

[1] : د صفاء عبد السلام : **قراءة نيتشه** ، مرجع سابق ، ص

خاتمة

إن هدف نيتشه من فلسفته التاريخية والخلقية هو إيجاد نوع جديد من البشر المتطور فيزيولوجيا كنموذج يقدمه للعالم وهو السوبرمان (الإنسان الأعلى)، ومعبرا عن الحالة التي كان عليها هذا الفيلسوف، فقد كان نيتشه يمجد القوة وينبذ كل أشكال الضعف، معتمدا على قوانين الطبيعة في تفسير حركة الإنسان والحكم على الكون، فجوهر الوجود هو إرادة القوة وإرادة الحياة.

كما سعى إلى تأكيد الحياة متوجها بنقده إلى الفلسفة والدين والأخلاق، التي كانت لا تخدم الإنسان بنسبها إلى القوانين الطبيعية وإبعادها عن قيود الأخلاق الإجتماعية التي تحد من حركته، كما هاجم الإله وهاجم المسيحية والإله المسيحي، كذلك الديمقراطية في المجال السياسي، معتبرا إياها حاجزا، وقد كان يرى بأن الركون إلى السلام يعد إنشغالا وفسادا، وبالتالي فلابد من الحرب التي تدفع الإنسان إلى التغيير والتفوق.

لم يعترف نيتشه بالنظام الأخلاقي ورفضه جملة لأنه متناقض مع الطبيعة والعقل، ويرى بأن الأنانية وحدها هي القادرة على الإنتقال بالإنسان من المرحلة الحيوانية إلى مرحلة الكمال أو ما يعرف عنده بالسوبرمان، وبالتالي فإن المنهج التطوري البيولوجي لديه يستند إلى قاعدة " البقاء للأقوى "، لذا وجب تطور الكائنات من جيل إلى جيل لتحقيق معنى وغاية الحية على الأرض، وأن هدف الإنسانية من هذا هو ظهور الإنسان الراقي.

أما فيما يخص النظم الأخلاقية فلقد هاجمها وقام بهدم كلي لها لأنها تختص بالعواطف وهذا في رأيه يمد بالضعف، لذا رفض الشفقة والمحبة والتسامح والمساواة، واعتبرها من صنع الضعفاء لتقييد الأقوياء وإخضاعهم، لذلك قام بهدم كل ما هو قديم بما في ذلك تحطيم القيود، والدعوة إلى الحرية ليكون الإنسان قويا وتمجيد الألم الذي يحقق السعادة، كما دعى إلى الإنتحار أي الموت الإختيار في حال ما إذا شعر الإنسان أن حياته مهددة بالذبول والإنهيار، معتمدا على العود الأبدي لحياة مستقبلية خشية الموت، وخلود الإنسان في الأرض رغبة منه في تحقيق حياة أفضل وإنسانية أرقى ولا وجود لغيرهما، فإرادة الحياة وحدها هي مقياس القيم جميعا في هذه الحالة كونها كفاحا لا رفقا وضعفا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1) المصادر :

أ- المصادر باللغة العربية :

1-فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زردانش، ت فليكس فارست،(الجريدة البصيرة الإسكندرية، 1938)

2- فريدريك نيتشه: إرادة القوة، تر محمد الناجي،(المغرب، إفريقيا الشرق، 2011)

3- فريدريك نيتشه : الفجر ، تر محمد ناجي (الدار البيضاء، 2013)

4- فريدريك نيتشه : هذا هو الإنسان ، تر علي مصباح (منشورات الجبل)

5- فريدريك نيتشه : أصل الأخلاق وفصلها، تر حسن قبيسي، (بيروت لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1971)

6- فريدريك نيتشه: قراءة في جينيالوجيا الأخلاق، تر عبد المنعم شيخة(الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015)

7- فريدريك نيتشه : أفول الأصنام، تر حسان بورقية ، ومحمد ناجي ، (إفريقيا الشرق ، ط1 ، 1996)

8- فريدريك نيتشه: غسق الأوثان، تر علي مصباح، (بيروت لبنان، منشورات الجمل، ط1)

9- فريدريك نيتشه : العلم والجدل، تر سعاد حرب (دار المنتخب العربي، 2001)

10- فريدريك نيتشه : رحلة إلى قلب الإلحاد، تر إيمان كنيستنا ،ج1، (الإسكندرية، خاتم الشهداء)

11- فريدريك نيتشه : إنساني مفرط في إنسانيته، تر محمد الناجي ،(بيروت لبنان، إفريقيا الشرق، ج1، 2002)

12- فريدريك نيتشه: شبنهاور مربيا، تر قحطان جاسم،(بيروت، منشورات الأخلاق، ط1، 2016)

13- فردريك نيتشه: مولد التراجيديا، تر شاهر حسن عبيد(سوريا، دار الحوار، ط1، 2008)

قائمة المراجع

1) المراجع :

أ- المراجع باللغة العربية :

1-ألبير كامو: الإنسان المتمرد، تر نهاد رضا (بيروت، منشورات عويدات ،ط3، 1983)

2-المسيري عبد الوهاب: العالم من منظور غربي ، (بيروت، دار المشرق، 2001)

3- الجندي محمد علي: الفلسفة في الفكر الإسلامي ، (لبنان بيروت ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2012)

4-باسمة كيال: أصل الإنسان وسر الوجود (بيروت ، مكتبة الهلال ، ط2، 1922)

5-بيار بودو : نيتشه مفتتا، تر أسامة الحاج (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1996)

6-بيرمو نتيبيلو: نيتشه وإرادة القوة، تر جمال مفرح، (بيروت لبنان، الدار العربية للعلوم،ط1، 2010)

7-بلعقروز عبد الرزاق: نيتشه ومهمة الفلسفة ، (لبنان، دار العربية للعلوم، ط1، 2010)

8-بيارهيبر سوفرين: زرداتش نيتشه، تر أسامة الحاج (بيروت لبنان،المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، 2002)

9-جاك شورون : الموت في الفكر الغربي، تر كامل يوسف حسين(الكويت، المجلس الوطني للثقافة، 1984)

10- جليل دلوز: نيتشه، تر أسامة الحاج، (بيروت،لبنان، المؤسسة الجامعية،ط1، 1998)

11- رمسيس عوض: ملحدون محدثون ومعاصرون،(لندن، سيناء للنشر، ط1 ،1998)

12- روي جاكسون: نيتشه و الإسلام ، تر حمود ، (بيروت لبنان ، مؤمنون بلا حدود، ط1، 2015)

13- رودولف شتاينر: نيتشه مكافحا ضد عصره ، تر حسن صقر، (سوريا دمشق ، دار الحصاد، ط1، 1998)

14- ديف روبنسون وجودي جروفز: أقدم لك الفلسفة، تر إمام عبد الفتاح إمام،(مصر، المجلس الأعلى للثقافة،2001)

15- صفاء عبد السلام جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، (دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 282

16- عطية عبد الحليم: نيتشه وجذور ما بعد الحداثة ،(بيروت، لبنان، دار الفارابي، ط1، 2010)

17- عبد الرحمان بدوي : نيتشه خلاصة الفكر الأوروبي ،ط5 ،(شارع فهد السلام ، الكويت 1975)

18- عبد الحليم عطية : فلسفة القيم نماذج نيتشوية ، تر نبيل عبد اللطيف،(بيروت ، لبنان، منتدى السوبر)

19- عبد السلام نبعد العالي: أسس الفكر الفلسفي المعاصر، (المغرب، دار بوتقال ، ط1، 1991)

20- عنيات عبد الكريم : نيتشه والإغريق إشكالية أصل الفلسفة ، (ط1، 2010)

21- فتحي المسكيني: إنزياحات الهوية الحديثة أو تأويلية الإنسان الأخير، (المركز الثقافي العربي، ط2، 2015)

22- فريدريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من فيشته إلى نيتشه، تر إمام عبد الفتاح إمام،(القاهرة، المركز القومي، ط3،2016)

23- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه ، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، ط1،2008)

24- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة ،(المغرب، الدار البيضاء، ط1 2008)

25- محمد علي الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، (بيروت، لبنان، مركز الدراسات الوحدة، ط1،1998)

26- مجدي كامل: فريدريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، (القاهرة، دمشق، دار الكتاب العربي،2011)

27- مارتن لوثر: عن اليهود وأكاذيبهم، تر د محمود النيجري(مكتبة النافذة، ط1، 2007)

28- لورانس جين وكيتي شين :أقدم لك نيتشه ،تر إمام عبد الفتاح إمام،(المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،مصر 2004

29- مفرح جمال: الإرادة والتأويل (بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ط1، 2009)

30- ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون حتى جون ديوي، تر د فتح الله محمد المشعشع(بيروت، مكتبة المعارف، ط 6، 1988)

31- يوحنا قمير: نيتشه نبي المتفوق، (بيروت، دار الشرق 1986)

الفهرس	الصفحة
شكر وعرفان	–
الإهداء	–
ملخص الدراسة	–
مقدمة	أ–ب–ج
الفصل الأول : الحياة ما قبل التاريخ	
المبحث الأول: فكرة العود الأبدي	14–6
المبحث الثاني: العدمية عند فردريك نيتشه	22–15
المبحث الثالث مفهوم القوة عند نيتشه	29–23
الفصل الثاني : الإنسان و تجاوز الواقع	
المبحث الأول: الإنسان غير مكتمل	36–31
المبحث الثاني: الإنسان جزء من الطبيعة	44–37
المبحث الثالث: الإنسان الأكثر أخلاقا	56–45
الفصل الثالث: الأفاق المستقبلية للإنسان	
المبحث الأول: موت الإله	68–58
المبحث الثاني:الإنسان الأعلى (سوبرمان)	82–69
خاتمة	85–84
قائمة المصادر والمراجع	–

ملخص

لقد تعددت المشكلات حول الفلسفة النيتشوية، والتي تمثلت في الإنسان والعود الأبدي وموت الإله ... إلخ، ما دفع إلى قراءتها وتفسيرها، كذلك من أهم الإشكالات المتعلقة بفلسفة نيتشه هو أسلوبه الواضح أثناء القراءة، فليس هناك ما يدعو لفك الغموض أو الإلتباس والترابط بين الأفكار والمعاني، ثم أن فلسفة نيتشه مرت بثلاث مراحل، وهي المرحلة الميتافيزيقية النقدية، وحتى الوضعية، وهو ما شكل إختلاف في تلك المراحل، فكل يفسر حسب رأيه، أما فيما يخص حياته الشخصية فقد كان لأخته الأثر الكبير عليه وهذا ما اختلف فيه الباحثون، فمنهم من تقبله ومنهم من هو عكس ذلك، على غرار أن أخته قامت بتحريف عمله بعد وفاته، فكل هذا الاختلاف ساهم بشكل أو بآخر في تقديم قراءات لدارسي فلسفة نيتشه، وإلتماس أن هناك أفكار مركزية مرتبطة ببعظها البعض كالإنسان الأعلى، وفكرة العود الأبدي والظهيرة العظمى، كل هذا يعبر عن الأفكار التي حاول نيتشه من خلالها أن يتجاوز العدمية ويقم حل للأزمة الأوروبية.

Résumé

Il y avait beaucoup de problèmes au sujet de la philosophie nietzschéenne, qui était l'homme et le luth et la mort éternelle de Dieu .... etc, ce qui incite à lire et à interpréter, ainsi que l'un des plus les problèmes liés à la philosophie de Nietzsche et son style est clair lors de la lecture, il n'y a aucune raison de décoder le mystère et la confusion et l'interdépendance Entre les idées et les significations.

La philosophie de Nietzsche passé par trois phases, à savoir la phase Métaphysique et quasi-espèces ainsi que la situation, ce qui est une différence dans ces étapes, chacune explique son avis, que ce soit par rapport à sa vie personnelle était à sa sœur, le grand impact sur lui, et cela crée une différence entre les chercheurs, certains d'entre eux ont accepté et certains d'entre eux voient en revanche, comme sa sœur avait déformé son travail après sa mort, et toute cette différence a contribué d'une façon ou d'une autre en fournissant des lectures des élèves de la philosophie de Nietzsche, et chercher qu'il ya des idées liées les unes aux autres en tant qu'êtres humains suprême et l'idée du luth et de la volonté éternelle de la superpuissance et la grande l'après-midi, toutes les idées exprimées que Nietzsche a essayé d'aller au-delà et offre la solution à la crise européenne.